

الفصل الرابع

كفایات توجیه الصغار نحو العمل التطوعي في ضوء السنة النبوية المطهرة

وقد انتظم هذا الفصل في تمهيد، وثلاثة مباحث.

المبحث الأول: مكانة التطوع في السنة النبوية المطهرة.

المبحث الثاني: الحزب على التطوع من خلال السنة القولية (منطوق الحديث الشريف) وكفایات توجیه الصغار نحوه.

المبحث الثالث: الحزب على التطوع من خلال السنة الفعلية للنبي ﷺ وكفایات توجیه الصغار نحوه.

٤،١ التمهيد

بعد ما تمّ استعراض مكانة التطوّع في القرآن الكريم خلال الفصل الثّالث، سيتركز الحديث في هذا الفصل على الكشّف عن أصالة مكانة التطوّع في السّنة النبويّة الشّريفة، ثمّ التّطرّق إلى ما جاء في حضرة الأئمّة على الأعمال التطوّعيّة في العبادات، والمعاملات من خلال سّنة النبيّ ﷺ القوليّة، ويقصد بها منطوق الحديث الشّريف، مع الإشارة إلى بعض الأحاديث التي خصّ بها النبيّ ﷺ النساء في الدّعوة إلى الأعمال التطوّعيّة، وكذلك الإشارة إلى هديه ﷺ في التّعامل مع الصّغار رعايةً، وتوجيهاً نحو الأعمال التطوّعيّة، وعرض أمثلة ونماذج عن تطوّع عطاء الإيجاب، وتطوّع عطاء السّلب، متبوعاً بذكر مواقف عمليّة جسّدت حضرة النبيّ ﷺ على التطوّع وبيّنت سنّته الفعليّة، مع بيان أمثلة من حياته الشّريفة قبل البعثة النبويّة وبعدها تؤكد اهتمامه بالتطوّع والأعمال التطوّعيّة في مختلف جوانب حياته الشّريفة الخاصّة والعامة لتقتدي به الأئمّة المحمّديّة، بل ليكون مناراً للإنسانيّة أجمع.

٤،٢ المبحث الأوّل: مكانة التطوّع في السّنة النبويّة المطهّرة

يُلاحظ المتأمّل في سيرة المصطفى ﷺ وسنّته؛ سواء قبل البعثة أو بعدها؛ أنّها حافلة بالمواقف التطوّعيّة، والأحاديث الموجهة لفعل الطّاعات، وتسخير الإمكانيات لتعميق الخير في النّفوس، ونشره بين العباد، وممارسته في مجالات عديدة تُخدم الإنسان مهما كان دينه أو عرقه، وتنتفع المجتمع بوجه عامّ بكلّ مكوّناته، فهذا النبيّ العظيم جاء رحمةً للعالمين كما وصفه الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^{١٧}، وأورد الشّوكاني رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية أنّ الله عزّ وجلّ ما أرسل

^{١٧} القرآن. الأنبياء: ٢١: ١٠٧.

النَّبِيِّ مُحَمَّدًا ﷺ لَعَلَّةً مِنَ الْعِلَلِ إِلَّا لِلرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، فَإِنَّ مَا بُعِثَ بِهِ سَبَبٌ لِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ^{٨٣٠}، فَهُوَ ﷺ كَان رَحْمَةً فِي الدِّينِ وَفِي الدُّنْيَا، وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: "... وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً^{٨٣١}، وَالتَّعْرِيفُ فِي كَلِمَةِ "لِلْعَالَمِينَ" لِلِاسْتِغْرَاقِ، فَيَشْمَلُ كُلَّ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْعَالَمِ^{٨٣٢}، أَي كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَالَمِ الْإِنْسَانِ، وَعَالَمِ الْجَنِّ، وَعَالَمِ الْحَيَوَانَ، وَعَالَمِ النَّبَاتِ، وَعَالَمِ الْجَمَادِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعَوَالِمِ^{٨٣٣}، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ التَّطَوُّعَ فِي الْخَيْرِ مَا هُوَ إِلَّا مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ بِكُلِّ تِلْكَ الْعَوَالِمِ. وَإِذَا كَانَ بَعَثُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ رَحْمَةً لِكُلِّ الْعَالَمِينَ، وَلِكُلِّ الْخَلَائِقِ^{٨٣٤}، فَإِنَّ رَحْمَتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَحْصَى^{٨٣٥}، وَلِذَلِكَ وَصِفَ ﷺ بِالرَّحْمَةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^{٨٣٦}. وَلَا جَزَمَ أَنَّهُ ﷺ أَعْطَى أَرْوَاحَ الْأَمْثَلَةِ فِي التَّطَوُّعِ مِنْ خِلَالِ سُنَّتِهِ الْقَوْلِيَّةِ، وَالْفِعْلِيَّةِ، وَالتَّفْهِيمِيَّةِ لِتَعْلِيمِ الْمُؤْمِنِينَ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ سَمَاحَةَ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي يُؤَاتِي بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا إِفْرَاطَ وَلَا تَفْرِيطَ، وَيُوزَنُ بَيْنَ الْمَادِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ، وَبَيْنَ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ، وَالْعِلْمِ وَالِدِّينِ، فَجَمَعَتْ شَرِيعَتُهُ الرَّبَّانِيَّةَ بَيْنَ حِظِّ الدُّنْيَا، وَحِظِّ الْآخِرَةِ بَعِيداً عَنِ الْمَغَالَاةِ، وَدَعَتِ إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُكْرَمَ إِنْسَانِيَّةُ الْإِنْسَانِ دُونَ أَيِّ شَكْلِ مِنْ أَشْكَالِ التَّمْيِيزِ الْمَبْنِيِّ عَلَى أُسَاسِ الْعِرْقِ أَوْ اللَّوْنِ أَوْ الْجِنْسِ أَوْ الْمُعْتَقَدِ، فَكَانَ مِيزَانُ التَّفَاضُلِ بِالتَّقْوَى لَا غَيْرِ، مِمَّا جَعَلَ بَابَ التَّطَوُّعِ فِي الْخَيْرِ مَفْتُوحاً عَلَى مِصْرَاعِيهِ لِخِدْمَةِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ وَالْجَمَادِ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ أَمْثَلَةٍ دَالَّةٍ عَلَى ذَلِكَ فِي ثَنَائِهَا هَذَا الْفَصْلِ، فَكَانَ ﷺ حَقّاً رَحْمَةً لِكُلِّ الْعَالَمِينَ.

^{٨٣٠} الشوكاني. ١٤١٤هـ. فتح القدير. ج. ٣. ص. ٥٠٩.

^{٨٣١} مسلم. صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب النهي عن لعن الدواب وغيرها. ج. ٤: ٢٠٠٤. رقم الحديث ٢٥٩٩.

^{٨٣٢} ابن عاشور. ١٩٨٤م. التحرير والتنوير. ج. ١٧. ص. ١٦٧.

^{٨٣٣} الشعراوي، محمد متولي. ١٩٩٧. تفسير الشعراوي - الخواطر. د. م. مطابع أخبار اليوم. ج. ١٦. ص. ٩٦٧٥.

^{٨٣٤} القشيري. د. ت. لطائف الإشارات = تفسير القشيري. ج. ٢. ص. ٥٢٦.

^{٨٣٥} ابن عاشور. ١٩٨٤م. التحرير والتنوير. ج. ٢٠. ص. ٣١.

^{٨٣٦} القرآن. التوبة: ٩: ١٢٨.

ولأنه ﷺ إمام العالمين، كانت خصاله الكريمة، وأخلاقه القويمة من أبرز ما امتدحه الله تعالى به في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾^{٨٣٧}، وقد أورد الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية أن الله تعالى وصف خلق النبي ﷺ بالعظيم لأنه: "أمر ﷺ بأن يقتدي بكل واحد من الأنبياء المتقدمين فيما اختص به من الخلق الكريم، فكأن كل واحد منهم كان مختصاً بنوع واحد، فلما أمر محمد ﷺ بأن يقتدي بالكل، فكأنه أمر بمجموع ما كان متفرقاً فيهم، ولما كان ذلك درجة عالية لم تتيسر لأحد من الأنبياء قبله، لا جرم وصف الله خلقه بأنه عظيم،... وكلمة "على" للاستعلاء، فدل اللفظ على أنه مستعمل على هذه الأخلاق ومستول عليها، وأنه بالنسبة إلى هذه الأخلاق الجميلة كالمولى بالنسبة إلى العبد، وكالأمير بالنسبة إلى المأمور"^{٨٣٨}.

ولقد ذكرت آيات عديدة جانباً من الأخلاق الحميدة التي أمر بها النبي ﷺ ليكون قدوة للمؤمنين، وفي نطاقها آفاق واسعة للتطوع، منها قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^{٨٣٩}، وقد وصف جعفر الصادق رضي الله عنه هذه الآية بقوله: "وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية"^{٨٤٠}. وروى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه أن عبد الله بن الزبير قال في هذه الآية: "ما أنزل الله إلا في أخلاق الناس"^{٨٤١}، أي أن الله سبحانه وتعالى أنزل هذه الآية للدلالة على نبيه ﷺ عن كيفية التعامل مع الناس، فهو سبحانه يأمره أن يقبل من الناس ما تيسر من طيب أخلاقهم، وما استطاعوا، ولا

^{٨٣٧} القرآن. القلم ٦٨: ٤.

^{٨٣٨} الرازي. ١٤٢٠هـ. مفاتيح الغيب. ج. ٣٠. ص. ٦٠١.

^{٨٣٩} القرآن. الأعراف ٧: ١٩٩.

^{٨٤٠} الرازي. ١٤٢٠هـ. مفاتيح الغيب. ج. ١٥. ص. ٤٣٥.

^{٨٤١} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن: سورة الأعراف. باب {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩] "ج. ٦: ٦٠. رقم الحديث ٤٦٤٣.

يؤاخذهم بما يصدر عنهم من زلةٍ أو سوء خلقٍ، بل يأخذهم بالعفو، والتنازل عمّا له من حقّ عليهم، ويتجاوز ذاك السوء إلى الأمر بالمعروف، والإعراض عن الجّهال. وذكر القشيري رحمه الله تعالى في تفسيره (وأمرٌ بالعرف) أنّ: "أفضل العرف أن يكون أكمل العطاء لأكثر أهل الجفاء، وبذلك عاقل الرسول ﷺ الناس" ٨٤٢.

وإنّ من حسن الخلق خلق العطاء، فهو خلقٌ تميّز به الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، وقد كان لخاتم الأنبياء ﷺ منه النصيب الأوفر، والقدر الأكمل، فلم يدع فرصةً إلا واغتنمها ليعطي من نفسه، وكريم خلقه، وصدق مشاعره، ومما ملكت يده كلّ من يأتيه أو يصاحبه، أو يطرق بابه، بل كان ﷺ مبادراً بالعطاء، متحملاً في سبيل ذلك المشقة والعناء، يدفعه إيمانه بالله وحُبّه له، وامتنال أمره بتبليغ الرسالة وما أنزل عليه من الحق، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ..﴾ (٧٧) ٨٤٣، فكان ﷺ مخلصاً صادقاً حريصاً في الدعوة، رحيماً بعباد الله، مشفقاً عليهم، رؤوفاً بحالهم.

ويجمع حسن الخلق جملةً من الفضائل، إذ يدخل فيه: "التّحرّز من الشّح، والبخل، والغضب، والتّشديد في المعاملات، والتّحجّب إلى النّاس بالقول والفعل، وترك التقاطع والهجران، والتّساهل في العقود كالبيع وغيره" ٨٤٤. وكلّ جزئيةٍ من هذه الفضائل هي في الحقيقة قابلةٌ لأن تكون محلاً غنياً، ومرتعاً خصباً لإبراز التّطوُّع في صوره الجميلة.

٨٤٢ القشيري. د. ت. لطائف الإشارات = تفسير القشيري. ج. ١. ص. ٥٩٨.

٨٤٣ القرآن. المائدة ٥: ٦٧.

٨٤٤ الرازي. ١٤٢٠هـ. مفاتيح الغيب. ج. ٣٠. ص. ٦٠١.

فالتَّحَرُّزُ مِنَ الشُّحِّ، والبُخْلِ، والغضب، والتَّشَدِيدِ فِي الْمَعَامَلَاتِ يُمَثِّلُ نَوْعاً مِنْ تَطَوُّعِ عَطَاءِ السَّلْبِ الَّذِي تَقَدَّمَ تَعْرِيفُهُ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ^{٨٤٥}، وَهَذَا أَمْرٌ مُسْتَحْسَنٌ قَابِلٌ لِأَنْ يَتَطَوَّرَ مَعَ اسْتِمْرَارِ الْمُمَارَسَةِ، فَيَنْقَلُ صَاحِبُهُ إِلَى دَرَجَةٍ أَرْقَى مِنَ الْعَطَاءِ عِنْدَ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ، تِلْكَ هِيَ دَرَجَةُ عَطَاءِ الْإِيجَابِ حَيْثُ الْإِكْرَامُ، وَالتَّحَبُّبُ إِلَيْهِمْ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَجَبْرُ الْخَوَاطِرِ، وَإِسْدَاءُ الْمَعْرُوفِ، وَالتَّيْسِيرُ عَلَى الْمَعْسَرِ، وَالتَّسَابِقُ فِي بَدَلِ مَا فِي الْوُسْعِ لِإِسْعَادِ الْآخَرِ، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى عَمَلِ الْخَيْرِ تَوْطِيداً لِأَوَاصِرِ الْأُخُوَّةِ، وَتَرْسِيخاً لِسِمَاحَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَقَبْلَ الشُّرُوعِ بِتَفْصِيلٍ أَكْثَرَ، وَطَرَحَ أَوْسَعَ لُجُؤَانِبِ التَّطَوُّعِ فِي سُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ يَجْدُرُ التَّنْبِيهِ عَلَى أُمُورٍ هَامَّةٍ جَدِّدًا، وَالتَّأَكِيدِ عَلَيْهَا، خَاصَّةً لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنَ التَّطَوُّعِ مِنْهَجَ حَيَاةٍ يَطَّرِحُهُ لِلْمُتَرَبِّينَ الصِّغَارِ فِي شَكْلِ كِفَايَاتٍ يَتَعَلَّمُونَهَا وَيَشَبَّوْنَ عَلَيْهَا، وَهِيَ:

- إِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: فَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى مُرَدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ، وَالتَّشَوُّهُدُ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَقَدْ تَمَّ التَّطَرُّقُ إِلَى هَذِهِ النُّقْطَةِ وَشَرْحِهَا بِاسْتِفَاضَةٍ فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ فَلْيُنْظَرِ هُنَاكَ^{٨٤٦}، وَاسْتَكْتَفَى الْبَاحِثَةُ بِذِكْرِ حَدِيثَيْنِ شَرِيفَيْنِ فِي الْاسْتِدْلَالِ عَلَى أَهْمِيَّةِ اسْتِحْضَارِ النِّيَّةِ عِنْدَ الشُّرُوعِ بِعَمَلِ التَّطَوُّعِ:

- الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: " مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ"^{٨٤٧}،

فَأَيُّ عَمَلٍ خِلا عَنِ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى وَرِجَاءِ ثَوَابِهِ، وَأُرِيدُ بِهِ ثَنَاءَ النَّاسِ وَتَحْصِيلَ

^{٨٤٥} انظر ص ٢٦ من هذه الدِّراسة.

^{٨٤٦} انظر ص ١١٦ من هذه الدِّراسة.

^{٨٤٧} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الرِّفَاقِ. بَابُ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ. ج. ٨٠: ١٠٤. رقم الحديث ٦٤٩٩. وأخرج مسلم. د. ت. صحيح مسلم. بلفظ " مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهُ بِهِ". كتاب الزهد والرفاق. بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ. ج. ٤: ٦٤. رقم الحديث ٢٩٨٦.

منزلةً لديهم، فإنَّ الله سيفضح العمل وصاحبه، ولا ثواب له في الآخرة، بل عليه

سخط الله^{٨٤٨}.

- الحديث الثَّاني: ما ورد عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: "جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ

ﷺ فقال: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ،

فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قال: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ^{٨٤٩}، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا هُوَ الَّذِي اخْتَصَّهُ

اللَّهُ بِالْفَضْلِ وَالْأَجْرِ مِنْ بَيْنِ الْمُجَاهِدِينَ^{٨٥٠}، وليس الذي قاتل حميةً عن عشيرته أو

غيرةً عليها، وذكر الطَّبري ووافقه الجمهور أنَّه إذا كان أصل الباعث على الجهاد

هو إعلاء كلمة الله فلا يضرُّه ما عَرَضَ له بعد ذلك^{٨٥١}. فهذه الأحاديث وغيرها

شواهد على أنَّ النِّية مناطُ الثَّواب والعقاب، والقبول والرَّد. وهذا يؤكِّد أهميَّة كفاية

إدارة الدَّات من حيث المفاهيم والمعتقدات، فيسعى المتطوِّع الصَّغير إلى تحقيق النِّية

للَّهِ قبل الإقدام على عمَل التَّطوُّع.

^{٨٤٨} العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الرِّقاق. باب الرِّبَاءِ وَالسُّمْعَةِ. ج. ٢٣. ص. ٨٦-٨٧.

^{٨٤٩} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. ج. ٤: ٢٠. رقم الحديث

٢٨١٠. ومسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الإمامة. باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، وفيه لفظ "والرجل يقاتل

ليُذكَر". ج. ٣: ١٥١٢. رقم الحديث ١٩٠٤.

^{٨٥٠} النووي، أبو زكريَّا محيي الدين يحيى بن شرف. ١٣٩٢هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. الطبعة الثَّانية. بيروت: دار إحياء التراث

العربي. ج. ١٣. ص. ٤٩. ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ٦. ص. ٢٨.

^{٨٥١} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ٦. ص. ٢٨. العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب

العلم. باب مَنْ سَأَلَ وَهُوَ قَائِمٌ عَالِمًا جَالِسًا. ج. ٢. ص. ١٩٧.

• عَمَلُ التَّطَوُّعِ وَاسِعٌ يَسْتَطِيعُهُ كُلُّ فَرْدٍ، فَهُوَ مَتَّاحٌ لِلْجَمِيعِ، رِجَالًا وَنِسَاءً، شَبَابًا، كُلٌّ بِحَسَبِ
وُسْعِهِ وَطَاقَتِهِ، فَلَا حَدَّ لِأَدْنَاهُ، وَلَا تَقْيِيدَ لَوَقْتِهِ، وَلَا تَكَلُّفَ فِيهِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمَجَالَ مَفْتُوحٌ لِمَنْ
أَرَادَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ وَنَفَعَ نَفْسَهُ وَالْعِبَادَ وَالْبِلَادَ. فَأَيْسَرَ التَّطَوُّعَ الذِّكْرَ وَالِدُعَاءَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٧٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ
فَقِنًا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧١﴾﴾^{٨٥٢}، فَكَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَطَوُّعٌ يُثِيبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ
فِعْلٌ تَطَوُّعٌ يَسِيرٌ، لَكِنَّ ثَوَابَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ
وَجَدَ غُصْنًا شَوْكًا عَلَى الطَّرِيقِ فَأَحْرَهَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ^{٨٥٣}. وَهَذَا يُدْرِكُ الْمُتَرَبِّى الصَّغِيرَ أَنَّهُ
لَيْسَ وَحْدَهُ فِي مَيْدَانِ التَّطَوُّعِ، بَلِ الْكُلُّ مَدْعُوٌّ لِلْمَشَارَكَةِ فِيهِ، وَأَنَّهُ بِتَطَوُّعِهِ بِالْحِفَاظَةِ عَلَى الْأَذْكَارِ
يَسْتَشْعِرُ مَعِيَّةَ اللَّهِ، وَيَتَحَصَّلُ عَلَى تَرْكِيَةِ النَّفْسِ، وَأَنَّهُ قَدْ انْضَمَّ إِلَى الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللَّهُ بِأَتَمِّهِمْ (أُولَى
الْأَلْبَابِ)، أَيْ دَوَى الْعُقُولِ الْمُسْتَنِيرَةِ، وَهَذَا مِمَّا يُعَزِّزُ ثِقَةَ الْمُتَرَبِّى الصَّغِيرِ بِنَفْسِهِ.

• عَمَلُ التَّطَوُّعِ مَنُوطٌ بِإِمْكَانِيَّاتِ الْمُتَطَوِّعِ، وَاسْتَطَاعَتِهِ وَوُسْعِهِ وَطَاقَتِهِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ
تَكَلُّفٌ يُرْجَعُ إِلَى جَادَّةِ الْحَرْجِ أَوْ الْمَشَقَّةِ، يُسْتَنْبَطُ هَذَا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ﴾^{٨٥٤}، حَيْثُ قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى فِي تَفْسِيرِهَا: " فَأَصْلُ الْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي لَيْسَتْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَشَقُّ عَلَى النَّفْسِ، بَلِ هِيَ
غِذَاءٌ لِلْأَرْوَاحِ، وَدَوَاءٌ لِلْأَبْدَانِ، وَحَمِيَّةٌ عَنِ الضَّرَرِ، فَاللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ الْعِبَادَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَحْمَةً وَإِحْسَانًا،

^{٨٥٢} القرآن. آل عمران ٣: ١٩٠-١٩١.

^{٨٥٣} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب فضل التهجير إلى الظهر. ج. ١: ١٣٢. رقم الحديث ٦٥٢. هـ. مسلم.

د.ت. صحيح مسلم. كتاب الإمارة. باب بيان الشهداء. ج. ٣: ١٥٢١. رقم الحديث ١٩١٤.

^{٨٥٤} القرآن. البقرة ٢: ٢٨٦.

ومع هذا إذا حَصَلَ بعض الأعذار التي هي مَظَنَّة المشقَّة حَصَلَ التَّخْفِيف والتَّسْهِيل، إمَّا بِإِسْقَاطه
 عن المَكْلَف، أو إسْقَاط بعضه، كما في التَّخْفِيف عن المريض والمسافر وغيرهم^{٨٥٥}، فإذا كان
 هذا هو الحال في أمور التَّكْلِيف الشَّرْعِيَّة حيث " لا واجب مع العَجْز، ولا مُحْرَم مع الضَّرورة"^{٨٥٦}
 لِيَرْفَع الله الحَرْج عن عباده المؤمنين الذين يبتغون الامتثال لأمره بِنِيَّة صادقة^{٨٥٧}، كما في قوله
 سبحانه وتعالى: ﴿.. وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ..﴾^{٨٥٨}، فَمِنْ بَابِ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ
 أَيْسَرَ وَأَحْفَ فِيمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ أُمُور التَّطَوُّع فِي الطَّاعَاتِ وَالقُرْبَاتِ، فَاللهُ يَرِيدُ بِعِبَادِهِ الْيُسْرَ لَا
 الْعُسْرَ مِرَاعَاةً لِأَخْتِلَافِهِمْ فِي الطَّاقَاتِ وَالْقُدْرَاتِ وَالْأَحْوَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿.. يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ
 وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ..﴾^{٨٥٩}، وَمِنْ تَيْسِيرِ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ أَنْ جَعَلَ عَمَلَ الْخَيْرِ
 مُتَخَصِّلاً بِأَدْنَى سَعْيٍ مِنَ الْإِنْسَانِ، بَلْ بِمَجْرَدِ نِيَّةِ الْقَلْبِ، لَذَا جَاءَ التَّعْبِيرُ الْقُرْآنِيُّ فِي الْآيَةِ آفْعَةً
 الدِّكْرَ مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ بِلَفْظِ "كَسَبَ"، فِي حِينِ أَتَى بِلَفْظِ "اكتسب" فِي عَمَلِ الشَّرِّ لِلدَّلَالَةِ عَلَى
 أَنَّهُ لَا يُكْتَبُ عَلَى الْإِنْسَانِ حَتَّى يَعْمَلَهُ^{٨٦٠}، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ
 وَجَلَّ: " إِنْ اللهُ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ
 لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ
 ضِعْفٍ إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ

^{٨٥٥} السعدي. ٢٠٠٠م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ١٢٠.

^{٨٥٦} السعدي. ٢٠٠٠م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ٢٨٩.

^{٨٥٧} الخطيب. د.ت. التفسير القرآني للقرآن. ج. ٢. ص. ٣٩٠.

^{٨٥٨} القرآن. الحج ٢٢:٧٨.

^{٨٥٩} القرآن. البقرة ٢:١٨٥.

^{٨٦٠} السعدي. ٢٠٠٠م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ١٢٠.

هَمْ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ^{٨٦١}. فَكَرَّمَ اللَّهُ وَاسِعٌ لَا حَدَّ لَهُ، يُثِيبُ عِبَادَهُ وَلَوْ بِمَجْرَدِ
النِّيَّةِ عَلَى التَّطَوُّعِ فِي خَيْرٍ. وَفِي هَذَا تَحْفِيزٌ لِمَتَرَيِّ الصَّغِيرِ لِلْقِيَامِ بِمَا يَسْتَطِيعُهُ مِنْ أَعْمَالِ التَّطَوُّعِ
فِي الْخَيْرِ.

● كِفَايَةُ إِدَارَةِ الْأَوْلِيَّاتِ: فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَمَلِ التَّطَوُّعِيِّ أَنْ يَكُونَ شَاغِلًا عَنْ أَدَاءِ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَى عِبَادِهِ، فَالْفُرُوضُ وَالْوَاجِبَاتُ أَحَقُّ بِالْأَدَاءِ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ، وَهَذَا جَانِبٌ مَهْمٌ فِي فَهْمِ
حَقِيقَةِ التَّطَوُّعِ قَدْ يُعْقَلُ عَنْهُ، خَاصَّةً لِمَنْ يَشْتَغَلُ فِي سَبِيلِ التَّطَوُّعِ، إِذْ لَا يُمْكِنُ لِلسُّنَّةِ أَنْ تَأْخُذَ
مَكَانَ الْفَرَضِ، وَلَا لِلْفَرَعِ أَنْ يَحِلَّ مَحَلَّ الْأَصْلِ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْإِشْتَغَالُ بِمَا هُوَ مَطْلُوبٌ شَرْعًا مُقَدَّمٌ
عَلَى مَا هُوَ مَطْلُوبٌ عَرَفًا أَوْ كَرَمًا وَتَطَوُّعًا، وَلَعَلَّ فِي قِصَّةِ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَوْضِحًا
عَنِ الْإِسْلَامِ بَيَانٌ لِذَلِكَ، حَيْثُ وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ
نَجْدٍ نَائِرِ الرَّأْسِ، يَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلَا يَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فِإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ
تَطَوُّعَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَصِيَامَ رَمَضَانَ». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوُّعَ». قَالَ:
وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوُّعَ». قَالَ:
فَأَذْبَرَ الرَّجُلَ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ
صَدَقَ»^{٨٦٢}، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ الرَّجُلُ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُ النَّبِيَّ ﷺ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ: "وَالَّذِي

^{٨٦١} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الرقاق. بَابُ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ. ج. ٨: ١٠٣. رقم الحديث ٦٤٩١. ومسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. بَابُ إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كَتَبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ. ج. ١: ١١٧. رقم الحديث ١٣١.
^{٨٦٢} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب: الزَّكَاةُ مِنَ الْإِسْلَامِ. ج. ١: ١٨. رقم الحديث ٦٤. ومسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب بَيَانِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ. ج. ١: ٤٠. رقم الحديث ١١.

أكرمك، لا أتطوع شيئاً، ولا أنقص مما فرض الله عليّ شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: " أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق"^{٨٦٣}، وهذه شهادة من النبي ﷺ المبلغ عن ربه عز وجل بأن الفلاح يتحقق للمسلم إن أتى بما فرضه الله عليه دون زيادة أو نقصان، وأن التطوع فضيلة تُثقل ميزان العبد إن زادها على فرضه، لا أن يستعوض بها عنه. وهكذا يتعلم المترقي الصغير كفاية إدارة الأولويات من حيث إدارة طبيعة العمل، والوقت، والمكان.

وبناءً على ما تقدم سيتم تقسيم الحديث عن مكانة التطوع في السنة النبوية المطهرة، وإبراز أهميته بتفصيل أكثر إلى قسمين رئيسين: القسم الأول ما يتعلق بالسنة القولية، وسيأتي بيانه مفصلاً في المبحث اللاحق، والقسم الثاني يتعلق بالسنة الفعلية، وبيانه في المبحث الثالث من هذا الفصل.

٣، ٤ المبحث الثاني: الحظ على التطوع من خلال السنة القولية (منطوق الحديث الشريف) وكفايات توجيه الصغار نحوه

وجّه النبي الكريم ﷺ أمته إلى عمل التطوع، والمبادرة بالأعمال الصالحة من خلال أحاديث نبوية كثيرة، حث فيها المسلمين على اغتنام الأوقات، والصحة، والفراغ، واستنفاذ الوسع في تحقيق الإتيان والإحسان في كل فعل خير يرتضيه الشرع، وفيه نفع للإنسان والنبات والحيوان، طلباً لرضوان الله عز وجل، فقد ورد قوله ﷺ: "اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك"^{٨٦٤}، ولم يدخر ﷺ وسعاً في بيان فضل وعظم الثواب

^{٨٦٣} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الصوم. باب وجوب صوم رمضان. ج. ٣: ٢٤. رقم الحديث ١٨٩١.
^{٨٦٤} الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم. د.ت. صحيح الجامع الصغير وزياداته. المكتب الإسلامي. ج. ١: ٢٤٣. رقم الحديث ١٠٧٧. درجته صحيح.

الذي يَتَحَصَّلُ عليه المتطوِّع في الدُّنْيَا والآخِرَةِ. وَلَمْ يَدْعِ النَّبِيُّ ﷺ مجالاً من مجالات الحياة إِلَّا وَبَيَّنَّ أَنَّ للتَطَوُّع فيه مَوْضِعاً يَسْتَوْعِبُ المسلمين جميعاً، رجالاً ونساءً على اختلاف قُدراتهم، وطاقتهم وهمهم، وأيضاً على اختلاف أعمارهم. ولأنَّ الدِّينَ يَتَضَمَّنُ العبادات والمعاملات، فسيأتي بيان بعض أحاديث التَطَوُّع التي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ في كلِّ قِسْمٍ منها.

٤،٣،١ الحِصْلُ عَلَى التَّطَوُّعِ فِي الْعِبَادَاتِ وَعِلَاقَتِهِ بَعْدَ مِنَ الْكِفَايَاتِ

من رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بعباده أَنْ جَعَلَ لِكُلِّ عِبَادَةٍ مَفْرُوضَةٍ مَا يُشَبِّهُهَا مِنْ عِبَادَةِ التَّطَوُّعِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: "... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ.." ^{٨٦٥}، وَمَعْنَى " مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ " أَيُّ الْفُرُوضِ الْعَيْنِيَّةِ، وَفُرُوضِ الْكِفَايَةِ ^{٨٦٦}، فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُخَيِّرُ عِبَادَهُ بِمَا يُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى مَا يُوْرَثُهُمْ حُبُّهُ، وَهَذَا غَايَةٌ فِي اللَّطْفِ مِنْهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالتَّوَدُّدُ إِلَى عِبَادِهِ، تَدْفَعُهُمَ لِلْمَسَارَعَةِ فِي الْاسْتِجَابَةِ لِهَذَا اللَّطْفِ وَالتَّوَدُّدِ، إِذْ غَايَةُ الْمُؤْمِنِ التَّعَرُّفُ عَلَى مَحْبُوبَاتِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِيَعْمَلَ بِهَا، فَيَتَعَرَّضُ لِنَفْحَاتِ عَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ. وَفِي مَا يَلِي بَيَانًا لِتِلْكَ الْعِبَادَاتِ.

• عِبَادَةُ الصَّلَاةِ

وَأَوَّلُ مَا يُذَكَّرُ مِنْ فُرُوضِ الْعِبَادَاتِ الْمَفْرُوضَةِ الصَّلَاةَ، فَهِيَ الْمَتَقَدِّمَةُ عَلَى كُلِّ عِبَادَةٍ، وَهِيَ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيْثُ قَالَ ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ"، قَالَ: " يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ: انظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أُمَّهَاتِ أَمْ نَقَصَهَا؟ فَإِنْ

^{٨٦٥} البخاري، ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب التواضع. ج. ١٠٥:٨. رقم الحديث ٦٥٠٢.

^{٨٦٦} المصدر نفسه.

كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَتَمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تَوَخَّذُوا الْأَعْمَالَ عَلَى ذَاكُمْ^{٨٦٧}.

وصلاة التطوع أنواع، فمنها السنن الراتبية المؤكدة كالتى تُرافق الصلوات المفروضة، والراتبة غير المؤكدة، ومنها السنن المؤكدة غير الرواتب مثل صلاة الوتر، وصلاة الاستسقاء، وقيام الليل، وصلاة الضحى، وصلاة الكسوف والخسوف، وصلاة الاستخارة وغيرها، وهذا بعض ما ورد من أحاديث النبي ﷺ في فضل صلاة التطوع:

- قال رسول الله ﷺ: " أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ...وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ.."^{٨٦٨}، والمقصود بالصلاة هنا صلاة النافلة^{٨٦٩}.

- وقال ﷺ: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ..."^{٨٧٠}، والمعنى أَنَّهُ مَنْ عَمَلَ صِنْفَيْنِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، كَأَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُكْثِرِينَ مِنْ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ الْمَلْزَمِينَ لَهَا خَيْرٌ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ^{٨٧١}.

^{٨٦٧} السجستاني. د.ت. سنن أبي داود. باب قول النبي ﷺ: «كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُمْتَهَنُ صَاحِبُهَا تُنْتَمُ مِنْ تَطَوُّعِهِ». ج. ١: ٢٢٩. رقم الحديث ٨٦٤. وحكم الألباني بأنه صحيح.

^{٨٦٨} البخاري. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب الكسوف. باب مَنْ نَامَ عِنْدَ السَّخْرِ. ج. ٢: ٥٠. رقم الحديث ١١٣١. المصدر نفسه.

^{٨٧٠} البخاري. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب الصوم. باب الريان للصائمين. ج. ٣: ٢٥. رقم الحديث ١٨٩٧. ومسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الزكاة. باب من جمع الصدقة وأعمال البر. ج. ٢: ٧١١. رقم الحديث ١٠٢٧.

^{٨٧١} المصدر نفسه.

- وقال رسول الله ﷺ: "اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبوراً"^{٨٧٢}، فالصلاة نور، والنبي ﷺ يُرغب المسلمين في أن لا يَحرموا بيوتهم من هذا النور، فيُرشداهم إلى أن يجعلوا لبيوتهم حظاً منه بأداء صلاة السنن والتوافل فيها، فقال ﷺ: "... فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ"^{٨٧٣}.

- ورغب في صلاة الليل حيث قال ﷺ: "أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ..."^{٨٧٤}. وقال ﷺ: " مَنْ خَافَ أَنْ لَا يُفُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يُفُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ"^{٨٧٥}. لأنه أخبر ﷺ عن شرف قيام الليل بقوله: " يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَعْفِرُنِي فَأَعْفِرُ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيَءَ الْفَجْرُ"^{٨٧٦}.

- ومن صلاة التطوع صلاة الكسوف، حيث قال ﷺ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ"^{٨٧٧}، فالفزع إلى الله

^{٨٧٢} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الكسوف. باب التطوع في البيت. ج. ٦٠:٢. رقم الحديث ١١٨٧.

^{٨٧٣} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب صلاة الليل. ج. ١٤٧:١. رقم الحديث ٧٣١.

^{٨٧٤} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الصيام. باب فضل صوم المُحَرَّمِ. ج. ٨٢١:٢. رقم الحديث ١١٦٣.

^{٨٧٥} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب مَنْ خَافَ أَنْ لَا يُفُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ. ج. ٥٢٠:١. رقم الحديث ٧٥٥.

^{٨٧٦} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه. ج. ٥٢١:١.

رقم الحديث ٧٥٨.

^{٨٧٧} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الكسوف. باب الدعاء في الكسوف. ج. ٣٩:٢. رقم الحديث ١٠٦٠.

تعالى عند الآيات الباهرات، وفي الشدائد ذأب المؤمن الذي يَرجو بطاعته التَّقَرُّبُ إلى رَبِّهِ لتَفْرِجَ الكَرْبَ، وإدخال الطُّمَأْنِينَةَ إلى القلب.

إنَّ تَنْوُوعَ التَّطَوُّعِ في عبادة الصَّلَاةِ من حيث تَنْوُوعُ مناسباتها، وصُورُ أدائها فيه إشارةٌ بالغةٌ لأهمِّيَّتها، وفي تَعْلِيمِ الصِّغَارِ التَّطَوُّعِ في هذه العبادة تَرْسِيخٌ هُوَيْتِهِمُ الإِيمَانِيَّةَ، وَتَقْوِيَةٌ لَصِلَتِهِمُ الوجدانيَّةَ مع الله من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أُخرى فيه تَقْوِيمٌ لشخصيَّاتهم وسلوكياتهم، ومن أمثلة ذلك الحِرْصُ على النِّظَافَةِ بِالْوُضوءِ، واكتساب مهارة إدارة الوقت وتَنْظِيمِهِ، والإقبال على تَعَلُّمِ القرآن.

• عِبَادَةُ الصِّيَامِ

ومن العبادات المفروضة على المسلم صيام شهر رمضان، وقد شَرَعَ الدِّينَ الحَنِيفَ بَاباً لَصَوْمِ التَّطَوُّعِ، فَجَعَلَ لَهُ مناسباتٍ كَثِيرَةً مِثْلَ صِيَامِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ، حَيْثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ"^{٨٧٨}، وَذَكَرَ العُلَمَاءُ أَنَّ فِي هَذَا الحَدِيثِ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى اسْتِحْبَابِ صَوْمِ هَذِهِ السَّنَةِ^{٨٧٩}، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الفَضْلِ العَظِيمِ، فَالحَسَنَةُ بَعَثَرُ أمثالها، فَصَوْمُ رَمَضَانَ يَعْدِلُ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ، وَهَذِهِ السَّنَةُ تَعْدِلُ صَوْمَ شَهْرَيْنِ، وَبِذَلِكَ يَتِمُّ لِلْمُسْلِمِ فَضْلُ صِيَامِ السَّنَةِ كَامِلَةً. وَوَرَدَ عَنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "أَوْصَانِي حَبِيبِي ﷺ بِثَلَاثٍ، لَنْ أَدْعَهُنَّ مَا عَشِثُ: «بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَبِأَنْ لَا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ»"^{٨٨٠}.

^{٨٧٨} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الصِّيَامِ. بَابُ اسْتِحْبَابِ صَوْمِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ إِنْتَابَعًا لِرَمَضَانَ. ج. ٨٢٢:٢. رقم الحديث ١١٦٤.

^{٨٧٩} النووي. ١٣٩٢هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج. ٨. ص. ٥٦.

^{٨٨٠} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. بَابُ اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ الضُّحَى وَأَنْ أَقْلَهَا رَكَعَتَانِ. ج. ٤٩٩:١. رقم الحديث ٧٢٢.

ومن الأيام التي يُستحبُّ للمسلم صيامها يوم عاشوراء لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: " ما رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني شهر رمضان^{٨٨١}، وجاء عنه ﷺ قوله: " ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة، أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء، أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله"^{٨٨٢}، فذكر العديد من المناسبات التي يجدر بالمؤمن اغتنامها ليتعرض لنفحات المغفرة والرحمة من الله العليّ القدير، فهي مواسم للخيرات لا ينبغي لباعٍ الخير أن يفترط فيها.

حين يترقى الصَّغير على أحاديث التَّطوُّع في الصَّيام وتتجلى له آثاره الصَّحيَّة، والنَّفسيَّة، والوجدانيَّة تتعزَّز لديه كفاية إدارة الدَّات، والتَّحكُّم في الرِّغبات والشهوات، وتهذيب الأخلاق، كما تتفوّى لديه كفاية المراقبة الدَّائيَّة، والشُّعور بالمسؤوليَّة تجاه الآخرين، فيقبل على الأعمال التَّطوعيَّة من باب الرِّحمة والتَّعاطف والمؤازرة.

• عبادة الإنفاق

ويُعدُّ الإنفاق في سبيل الله من أجلِّ وأصدق القُرَبات إلى الله تعالى، حيث ورد لفظ الإنفاق باشتقاقٍ مختلفةٍ في ثلاثة وسبعين موضعاً في القرآن الكريم بحسب ما أحصته الباحثة^{٨٨٣}، وكثيراً ما ورد ذكره في القرآن الكريم مُفترناً بالصَّلاة، من ذلك قوله تعالى في وصف المتقين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

^{٨٨١} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الصوم. باب صيام يوم عاشوراء. ج. ٤٤:٣. رقم الحديث ٢٠٠٦.

^{٨٨٢} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الصَّيام. باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة، وعاشوراء، والثنين والخميس. ج. ٨١٩:٢. رقم الحديث ١١٦٢.

^{٨٨٣} بالاستعانة بموقع الباحث القرآني [/https://tafsir.app](https://tafsir.app) وموقع [/https://www.altafsir.com](https://www.altafsir.com)

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣١﴾^{٨٨٤}، فلئن كانت الصَّلَاةُ تَعَكِّسُ إِحْسَانَ الْعَبْدِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ خِلَالِ الْإِهْتِمَامِ بِالنَّفْسِ وَتَرْكِيَّتِهَا، فَإِنَّ الْإِنْفَاقَ يَعْكِسُ الْإِحْسَانَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ خِلَالِ تَعَزُّيزِ الْجَانِبِ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَاهْتِمَامِ الْفَرْدِ بِأَهْلِهِ وَأَرْحَامِهِ وَمَجْتَمَعِهِ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الزَّكَاةَ زُنْجًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، أَوْجَبَهَا عَلَى مَنْ مَلَكَ نِصَابًا بِشُرُوطِهَا، وَأَبْقَى بَابَ الْإِنْفَاقِ فِي الْخَيْرِ وَاسِعًا، يَدْخُلُ مِنْهُ مَنْ أَرَادَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ، كُلٌّ بِحَسَبِ وَسْعِهِ وَطَاقَتِهِ. وَقَدْ أَتَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمُنْفِقِينَ ابْتِغَاءً وَجْهَهُ الْكَرِيمَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٣١﴾ لِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٢﴾﴾^{٨٨٥}.

وَحَرَصَتْ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ عَلَى تَأْكِيدِ أَهْمِيَّةِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَثَرِهِ، فَقَالَ ﷺ: " مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِي أَعْدُكُمُ فَلَوْهُ، حَتَّى تُكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ " ^{٨٨٦}، فففي هذا الحديث إشاراتٌ عديدةٌ وإرشاداتٌ تُوضِّحُ كَرَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمُتَصَدِّقِ:

- فالله يَقْبَلُ مِنْهُ الْقَلِيلَ، وَلَوْ كَانَ بِمِقْدَارِ وَزْنِ تَمْرَةٍ أَوْ مَا يُعَادِلُ ثَمَنَهَا، فَلَا عُذْرَ إِذْنٍ لِمَنْ لَمْ يُبَادِرْ بِالطَّطْوَعِ فِي تَقْدِيمِ الصَّدَقَاتِ مُتَعَلِّلاً بِقِلَّةِ ذَاتِ الْيَدِ، شَرِيطَةً أَنْ يَكُونَ كَسْبُهُ حَلَالًا، وَمِنْ طَرِيقٍ مَشْرُوعٍ،

- وفي هذا تَشْجِيعٌ عَلَى الْعَمَلِ، وَتَرْكُ التَّوَاكُلِ وَالْكَسَلِ،

^{٨٨٤} القرآن. البقرة: ٣:٢

^{٨٨٥} القرآن. فاطر: ٣٥:٢٩-٣٠

^{٨٨٦} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: {وَيُرِي الصَّدَقَاتِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، لَهُمْ أُجُورُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٧٧]. ج. ١٠٨:٢. رقم الحديث ١٤١٠.

- وجاءت عبارة (ولا يقبل الله إلا الطيب) على أنها "جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ عَلَى سَبِيلِ الْحَصْرِ بَيْنِ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ تَأْكِيداً وَتَقْرِيراً لِلْمَطْلُوبِ فِي النَّفَقَةِ"^{٨٨٧}،

- وَلَعَلَّ مِنْ دَلَالَاتِ الْجُمْلَةِ الْمُعْتَرِضَةِ هُنَا التَّأْكِيدُ عَلَى أَهْمِيَّةِ اسْتِحْضَارِ النِّيَّةِ عِنْدَ آدَاءِ طَاعَةِ التَّطَوُّعِ بِالصَّدَقَةِ، فَالْعِبْرَةُ فِي قَبُولِهَا تَدَوُّرُ حَوْلِ مُرَادِ صَاحِبِهَا مِنْ آدَائِهَا لَا حَوْلَ مِقْدَارِهَا، فَمَا ابْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَاهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهُ، وَيُجْزِلُ لِصَاحِبِهِ الثَّوَابَ، فَيُضَاعِفُهُ أضعافاً كَثِيرَةً حَتَّى يَبْلُغَ وَزْنَ تِلْكَ الصَّدَقَةِ البَسِيطَةِ القَلِيلَةِ كَمَا لَوْ أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِوِزْنِ جَبَلِ أُحُدٍ، فَلَا حَدَّ لِكَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفَضْلِهِ.

ويأتي حديث آخر من جوامع كلام النبي ﷺ لِيَحُثَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّطَوُّعِ بِالصَّدَقَاتِ وَلَوْ بِالْيَسِيرِ، وَإِنْ بَلَغَ مَا دُونَ التَّمَرَّةِ مِمَّا لَا يَأْبَهُ لَهُ النَّاسُ عَادَةً، وَرَبَّمَا يَتَحَرَّجُونَ مِنْ إِخْرَاجِهِ، فَإِنْ تَعَدَّرَ ذَلِكَ فَلْيُعَدِّلُوا عَنْهُ إِلَى الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: "ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّارَ فَتَعَوَّدَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ... ثُمَّ قَالَ: انْفُؤُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ"^{٨٨٨}، وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ "فَمَنْ لَمْ يَجِدْ"، فَإِنَّ نَفْسَ السَّنَائِلِ تَطْيَبُ وَتَفْرَحُ بِالْعَطِيَّةِ، وَتُجَبَّرُ الْخَوَاطِرُ بِالرِّدِّ الْحَسَنِ، وَبِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ^{٨٨٩}، فَعَطِيَّةُ الْمَالِ وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ اشْتَبَهَا مِنْ حَيْثِيَّةِ أَثَرِهَا فِي إِدْخَالِ الشُّرُورِ عَلَى الْآخِرِ^{٨٩٠}. وَقَالَ ابْنُ بَطَالٍ: "طِيبَ الْكَلَامِ

^{٨٨٧} العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ. ج. ٨. ص. ٢٧٠.

^{٨٨٨} متفق عليه. البخاري. صحيح البخاري. ١٤٢٢هـ. كتاب الأدب. باب طيب الكلام. ج. ٨: ١١. رقم الحديث ٦٠٢٣. مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الزكاة. باب الحث على الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَمَّا حِجَابُ مِنَ النَّارِ. ج. ٢: ٧٠٤. رقم الحديث ١٠١٦.

^{٨٨٩} العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب مَنْ نَوَّشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ. ج. ٢٣. ص. ١١٥.

^{٨٩٠} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ١٠. ص. ٤٤٩.

من جليل عَمَلِ الْحَيْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْفَع بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ ..﴾^{٨٩١}، وَالِدْفَعُ قَدْ يَكُونُ بِالْقَوْلِ كَمَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ^{٨٩٢}.

يَجِدُ الْمَرْبِيَّ فِي الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ فِي مَجَالِ التَّطَوُّعِ فِي الْإِنْفَاقِ فُرْصَةً عَظِيمَةً لِتَعْلِيمِ الْمَرْبِيِّ الصَّغِيرِ مَجْمُوعَةً مِنَ الْقِيَمِ وَالْمَهَارَاتِ مِنْهَا: شَرَفُ الْعَمَلِ وَالْكَسْبُ لِيَكُونَ صَاحِبٌ يَدٌ غُلِيًّا فِي الْعَطَاءِ، وَحُسْنُ إِدَارَةِ الذَّاتِ فِي التَّخَلُّصِ مِنَ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ، وَفِي تَقْدِيمِ مَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الْمَسَاعِدَاتِ الَّتِي تَتَجَاوَزُ الْمَالَ إِلَى إِنْفَاقِ الْوَقْتِ وَالْجُهْدِ لِتَقْدِيمِ الْمَعُونَةِ لِلآخَرِينَ.

● عِبَادَةُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ

وَالْحَجُّ هُوَ الرِّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ فَرَضٌ، وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى وَجُوبِ الْحَجِّ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ فِي الْعُمْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً^{٨٩٣}، وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ، وَيُشْرَعُ التَّطَوُّعُ فِي زِيَارَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ بِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنَ الْعَامِ، حَيْثُ قَالَ ﷺ: "الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمِزْوَرُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ"^{٨٩٤}، فَبَيَّنَ ﷺ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي يَنَالُهُ الْحَاجُّ وَكَذَلِكَ الْمُعْتَمِرُ، وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ فِي قَوْلِهِ ﷺ: "الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا" حَضٌّ عَلَى تَكَرُّرِهَا^{٨٩٥}، أَيِ حَضٌّ عَلَى التَّطَوُّعِ بِأَدَائِهَا. وَعَنْ

^{٨٩١} القرآن. المؤمنون: ٩٦:٢٣، فصلت: ٣٤:٤١

^{٨٩٢} المصدر نفسه. ج. ٢٢. ص. ١١٢.

^{٨٩٣} ابن قدامة المقدسي، أبو مُحَمَّد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن قدامة. د. ت. المغني. القاهرة: مكتبة القاهرة. ج. ٣. ص. ٢١٣.

^{٨٩٤} متفق عليه. البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الحج. أبواب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها. ج. ٢:٣. رقم الحديث ١٧٧٣. مسلم. د. ت. صحيح مسلم. كتاب الحج. باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة. ج. ٢:٩٨٣. رقم الحديث ١٣٤٩.

^{٨٩٥} السبتي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى. ١٤١٩هـ. إكمال المعلم بفوائد مسلم. تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل. مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ج. ٤. ص. ٤٦٠.

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: قلت يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: "لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور"، فقالت عائشة: «فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ»^{٨٦٦}. إن حرص المري على توجيه ذهن المترى الصغير إلى أهمية التطوع في مثل تلك العبادات العظيمة، يجعله أحرص على الابتعاد عن التفریط في أداء الفرض والواجب منها، وإذا كان ثواب الله عظيماً في المجازاة على فعل التطوع فيها، فكيف إذن هو ثوابه على من يحرص على فعل الفرض والواجب منها. كما أن المري حين يوجه المترى الصغير إلى أهمية التطوع في تلك الطاعات فإنه يوجهه إلى عدد من الكفايات كما تقدّم، مثل كفاية الوعي بالذات والتوافق مع الذات وهو من الكفايات العرفانية أو المفاهيمية التي تعمق الإيمان، وكفاية التحكم في الانفعال، وكفاية التواصل مع الغير، وكفاية التنظيم وإدارة الوقت، وغيرها من الكفايات التي تهتم التربية الحديثة بتعليمها للصغار، وتجعل المترى الصغير يدرك أن صلته بالله من أعظم الصلّات، وأنه بهذا التطوع في الطاعات يتحبّب إلى ربّ العباد الذي يمده بشئ أنواع النعم، وبالقوة النفسية والشعورية لمجاهدة وقائع الحياة، والمُدرة على مدّ جسور التعاون البناء مع نسيج المجتمع.

٢، ٣، ٤ الحُصُّ على التطُّوع في المعاملات وعلاقته بكفاية التَّواصل مع المحيط

العبادات المحضة كالصلاة والزكاة والصوم والحج تُعزّز العلاقة بين العبد وربّه، والتطوع فيها يعود بدايةً بالنفع الكبير على شخص المتطوع، فيكسب أجرها، ويكون أول من يقطع ثمرها، لكنّ للدين جانب آخر فيه عبادات تعاملية تتحقّق من خلال الاحتكاك، والتعامل مع طرف آخر فلا يقف نفع تلك العبادات عند المتطوع بها فقط، بل يتعدى النفع إلى الطرف الآخر. تلك العبادات تختص بعلاقة الفرد

^{٨٦٦} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب جزاء الصيد. باب حج النساء. ج. ١٩:٣. رقم الحديث ١٨٦١.

بِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِهِ، وَخَاصَّتِهِ، وَأَرْحَامِهِ، وَجِيرَانِهِ، وَمَجْتَمَعِهِ، وَبِإِخْوَانِهِ فِي الدِّينِ، وَإِخْوَانِهِ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، بَلْ بِعِلَاقَتِهِ بِمَكُونَاتِ بَيْتِهِ مِنَ الْأَحْيَاءِ مِنَ النَّبَاتِ، وَالْحَيَوَانَ، فَجَاءَتْ الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ فِي جَانِبِ الْمَعَامَلَاتِ مُبَيِّنَةً كَيْفِيَّةَ التَّعَامُلِ مَعَ كُلِّ هَؤُلَاءِ، وَمُوضِحَةً أَنَّ التَّطَوُّعَ فِي خِدْمَتِهِمْ يَسْتَجْلِبُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُحَقِّقُ الطَّمَأْنِينَةَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ، وَيُشْعِرُ الْمَوَدَّةَ بَيْنَهُمْ، وَيُقَوِّي لِحَمَتِهِمْ، وَيُعَزِّزُ أَسْبَابَ الْإِسْتِقْرَارِ، وَيَدْفَعُ لِلتَّقَدُّمِ وَالْإِزْدِهَارِ، وَفِيمَا يَلِي ذِكْرَ لِبَعْضِ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الدَّافِعَةَ لِلتَّطَوُّعِ فِي خِدْمَةِ الْآخَرِ.

كَمَا أَنَّ فِي تَوْجِيهِهِ الْمَتْرَبِينَ الصِّغَارِ إِلَى مَا فِي السُّنَّةِ الْمَطَهَّرَةِ مِنْ تَحْضِيضِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّطَوُّعِ فِي الْمَعَامَلَاتِ فِيهِ إِذْكَاءٌ لِكِفَايَةِ التَّوَاصُلِ مَعَ الْغَيْرِ، وَكِفَايَةِ التَّوَاصُلِ مَعَ الْبَيْتَةِ، وَكِفَايَةِ الْمَهَارَاتِ الْوَجْدَانِيَّةِ وَتَحْمُلِ الْمَسْئُولِيَّةِ.

أولاً: نَظَرَةٌ عَامَّةٌ فِي الْحِضِّ عَلَى التَّطَوُّعِ فِي الْمَعَامَلَاتِ

جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ - وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ: أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"^{٨٩٧}، وَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ يُبَيِّنُ الْمُسْلِمَ لِأَهْمِيَّةِ وَضَرُورَةِ الْحِرْصِ عَلَى سَلَامَةِ قَلْبِهِ مِنَ الْأَثَرَةِ وَالْأَنَانِيَّةِ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ لَهُ تَمَامُ الْإِيمَانِ^{٨٩٨}، وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا

^{٨٩٧} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ج. ١: ١٢٠. رقم الحديث ١٣. مسلم. د. ت. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير. ج. ١: ٦٧. رقم الحديث ٤٥.
^{٨٩٨} المصدر نفسه.

الحديث يُعتَبَرُ أحدَ أربعةِ أحاديثٍ يدوّرُ عليها الإسلام^{٨٩٩}، وقال بعض العلماء أنه أحدُ أربعةِ أحاديثٍ ينفّرُ منها جماعُ آدابِ الخير^{٩٠٠}. إنَّ تحلّي المسلم بهذه الحصلة التي محلّها القلب والوجدان لا يعلم حقيقتها، ودرجة مصداقيتها إلا الله عزَّ وجلَّ، لكنَّ آثارها تظْهَرُ في سلوكه تجاه مَنْ حوْله، فكلّما كانت مشاعره صادقةً ونبيلةً سعى مُتطوِّعاً مختاراً بجِدِّ واجتهادٍ لتقديم العونِ لمن حوْله، تماماً كما يُحبُّ أن يُعان هو، بل ويدفّعه الحرص على الاتِّصاف بتمام الإيمان أن يُبادر بالطاعات، والأعمال الصّالحات في خدمة الآخرين، ويكون مُسارعاً في الخيرات، يفرح إن أصاب إخوانه فرحاً، ويُعينهم إن أصابهم شطْف عيشٍ، أو ضنكٍ، أو حزنٍ.

وترى الباحثة أن هذا الحديث يُصوِّرُ قيمة الرُّقي في التَّطوُّع والعطاء، إذ لم يتوقّف عند العطاء المادّي، بل تجاوّزه إلى عطاء المشاعر، وهذه درجة رفيعة عميقة من الجود والكرم لم تَبْلُغها قوانين التَّطوُّع في الدساتير الوضعية، ولم تصل إليها أعرافهم، فارتقت بمشاعر المسلم ليشمل حُبّه للخير جازَه أيضاً، أيّاً كان هذا الجار. إنَّ حُبَّ العطاء إذا تجدّر في القلب جادت به الجوارح بحُبِّ دون مَنْ أو كِبَرٍ، فالعطاء يُجسِّد مظهرًا من مظاهر العبودية لله، وجميلٌ أن يأتي العبد العبادة بحُبِّ وليس أداءً للواجب، أو إسقاطاً للتكليف، لأنَّ هذا أَدعى لطلب الإحسان، وبلوغ الإتيان الذي يوصل إلى محبة الله عزَّ وجلَّ.

والمؤمنون إخوةٌ، والأخوة الحقة تفتضي المحبة، ويتربّب عليها النُصرة في الحقّ، والإعانة على الخير، فقد ورد عن النَّبيِّ ﷺ قوله: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضُهُ بعضاً" ثمَّ شبَّك بين أصابعه. وكان

^{٨٩٩} المغربي، الحسين بن محمّد بن سعيد اللاعي. ٢٠٠٧م. البدرُ التمام شرح بلوغ المرام. تحقيق: علي بن عبد الله الزين. دار الهجرة. ج. ١٠. ص. ٢٣١-٢٣٢. والأحاديث الثلاثة الأخرى هي الأوّل "إنما الأعمال بالنيات"، والثاني "الحلال بين والحرام بين"، والثالث "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

^{٩٠٠} النووي. ١٣٩٢هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج. ٢. ص. ١٩.

النَّبِيِّ ﷺ جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبٌ حَاجَةٌ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُؤَجَّرُوا، وَلِيُقْضَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»^{٩٠١}، حَيْثُ يُؤَكِّدُ النَّبِيُّ ﷺ أَهَمِّيَّةَ التَّرَابُطِ وَالتَّأَزُّرِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى السَّعْيِ الصَّادِقِ فِي بَدَلِ كُلِّ جُهْدٍ لِأَجْلِ قَضَاءِ حَوَائِجِ الْآخَرِينَ، فَاَلْمُؤْمِنُ مُكَلَّفٌ بِالسَّعْيِ وَبَدَلِ السَّبَبِ، غَيْرِ مُحَاسِبٍ عَلَى النَّتِيجَةِ، فَمَنْ يَتَطَوَّعَ لِيَشْفَعَ لِأَخِيهِ صَاحِبِ الْحَاجَةِ فِي كَشْفِ كُرْبَتِهِ، وَقَضَاءِ حَاجَتِهِ يَحْصُلُ لَهُ الْأَجْرُ، سِوَاءً قُبِلَتْ شَفَاعَتُهُ أَمْ لَمْ تُقْبَلْ، فَالْأَمْرُ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَقْضِي بِمَا يَشَاءُ، هَذَا مَا تُفِيدُهُ عِبَارَةُ النَّبِيِّ ﷺ " وَلِيُقْضَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ"^{٩٠٢}، فِيهِ الْحَدِيثُ حَضُّ عَلَى الْخَيْرِ وَلَوْ بِالشَّفَاعَةِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ فِي حَدِّ مَنْ حُدودِ اللَّهِ^{٩٠٣}، فَحِينَهَا لَا سَعْيَ فِي ذَلِكَ مَحْمُودًا، وَلَا شَفَاعَةَ عِنْدَ اللَّهِ مَقْبُولَةً مُثَابًا عَلَيْهَا.

وَأَنَّ مِنَ الشَّفَاعَةِ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ يُبَادِرُ بِهَا الْمُؤْمِنُ لِتَكُونَ لَهُ وَقَايَةً مِنَ النَّارِ لِقَوْلِهِ ﷺ: " اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكَلِمَةً طَيِّبَةً"^{٩٠٤}، وَفِي الْحَدِيثِ تَشْجِيعٌ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْعَطَاءِ مَهْمَا كَانَ يَسِيرًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّعْلِيقُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ^{٩٠٥}، بَلْ إِنَّ التَّطَوُّعَ الْحَمِيدَ قَدْ يَكُونُ فِي أَمْرِ أَيْسَرَ مِنَ التَّصَدَّقِ بِشِقِّ تَمْرَةٍ أَوْ النَّطْقِ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، إِذْ عَدَّ النَّبِيُّ ﷺ طَلَاقَةَ الْوَجْهِ وَانْبِسَاطَهُ، وَحُسْنَ الْإِقْدَانِ مِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي يُثَابُ فَاعِلُهُ حَيْثُ يَقُولُ ﷺ: " لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَحَاكَ بِوَجْهِهِ طَلِقٌ"^{٩٠٦}.

^{٩٠١} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً. ج. ١٢:٨. رقم الحديث ٦٠٢٦.
^{٩٠٢} العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً. ج. ٢٢. ص. ١١٥. ابن حجر.
^{٩٠٣} ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ١٠. ص. ٤٥١.
^{٩٠٤} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ١٠. ص. ٤٥١.
^{٩٠٥} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار. ج. ١١٥:٨-١١٦. رقم الحديث ٦٥٦٣.
^{٩٠٦} انظر صفحة ٢٣٢ من هذا المبحث.
^{٩٠٦} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء. ج. ٢٠٢٦:٤. رقم الحديث ٢٦٢٦.

وَدَأْبُ الْمُؤْمِنِ تَحْرِي الْخَيْرِ وَالْمَبَادِرَةَ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ مِنْ عِلَامَاتِ تَمَامِ إِيْمَانِهِ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِذَلِكَ قَالَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " ٩٠٧، وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَاتٌ عِدَّةٌ تَبَيَّنَتْهَا

الْبَاحِثَةُ وَهِيَ ذَاتُ عِلَاقَةٍ بَعْدِ مِنْ الْكِفَايَاتِ الَّتِي تُوجِّهُ لِلْمُتَرَبِّي الصَّغِيرِ، وَاخْتَارَتْ إِتْرَازَ بَعْضِهَا فِيمَا يَلِي:

- كِفَايَةُ التَّحْكُمِ بِالذَّاتِ: مِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالنِّيَّةِ وَالْقَصْدِ، حَيْثُ يُبَيِّنُ الْحَدِيثُ أَنَّهُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ

بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ إِيْمَانًا صَادِقًا، وَقَصَدَ مَرْضَاةَ اللَّهِ خَافَ وَعِيدَهُ، وَرَجَا ثَوَابَهُ، وَحَرَصَ عَلَى ضَبْطِ

لِسَانِهِ، فَلَا يَنْطِقُ إِلَّا خَيْرًا. فَضَبْطُ اللِّسَانِ وَإِمْسَاكُهُ عَنْ قَوْلِ غَيْرِ الْخَيْرِ ذَلِيلٌ لِيْمَانِ الْعَبْدِ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

- كِفَايَةُ التَّفْكِيرِ التَّحْلِيلِيِّ: التَّنْكِيرُ فِي كَلِمَةِ "خَيْرٍ" يُشِيرُ إِلَى كُلِّ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ وَصْفُ خَيْرٍ

فِي الْكَلَامِ مُطْلَقًا، فَالْكَلَامُ الْمَنْطُوقُ قَدْ يَكُونُ خَيْرًا فِي نَفْسِهِ، كَأَنْ يَكُونَ تَسْبِيحًا، أَوْ ذِكْرًا لِلَّهِ

عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ دُعَاءً، أَوْ تِلَاوَةً لِقُرْآنٍ، وَقَدْ يَكُونُ كَلَامًا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ خَيْرٌ لِلآخِرِينَ كَالشَّفَاعَةِ، أَوْ

"الإِبْلَاحِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنِ رَسُولِهِ ﷺ، وَتَعْلِيمِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ عَنِ عِلْمٍ، وَإِنْكَارِ

الْمُنْكَرِ عَنِ عِلْمٍ، وَالِإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ حُسْنًا" ٩٠٨، وَكُلُّهَا أُمُورٌ يَدْخُلُ فِيهَا

التَّطَوُّعُ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ.

- كِفَايَةُ اتِّخَاذِ الْقَرَارِ: التَّخْيِيرُ بَيْنَ قَوْلِ الْخَيْرِ أَوْ الصَّمْتِ هُوَ مِنْ حَيْثُ الْمَبْدَأُ قَرَارٌ يَتَّخِذُهُ الْمَرْءُ

مُتَطَوِّعًا مُخْتَارًا، وَلَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَفَكَّرَ، وَيَحْذَرُ إِنْ اخْتَارَ التَّكَلُّمَ، لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِقَوْلِ الْخَيْرِ، وَبِالْكَفِّ

٩٠٧ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه. ج. ٣٢:٨. رقم الحديث ٦١٣٥.

٩٠٨ ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري. ٢٠٠٣م. شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية. الطبعة السادسة. مؤسسة الريان. ص. ٦٩.

عن قول الحرام، وكل ما يُؤدِّي إلى الوقوع في الحرام وفي الشرِّ، أو يترتَّب عليه مفسدةٌ، حتى أنه

يتورَّع عن بعض الكلام المباح مخافة أن يقع في الحرام، فيكون الصَّمت له أسلم^{٩٠٩}.

إنَّ الأحاديث النبويَّة الشريفة التي تحثُّ المسلم على المبادرة بالعتاء بكلِّ أشكاله وألوانه، مهما كان

مقداره ضئيلاً، وهذا ما يُطلق عليه في التربيَّة الحديثة كفاية المبادرة، تجعل المتأمل فيها يُدرك عظم الخيريَّة

التي يحملها دين الإسلام القويم للناس، وكيف أنَّ في اتباع تعاليمه السَّمحة حياةً كريمةً للفرد، وصيانةً

للعلاقات الإنسانيَّة، وتقويةً لنسيج المجتمع، فقد قال ﷺ: " مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا،

نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ

مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا

يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ

اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ

عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"^{٩١٠}، فقد جمع الحديث ألواناً من الأعمال التطوعيَّة التي تُعزِّز

العلاقات بين المؤمنين، وتُشيع الودَّ بينهم، وتُعوي شوكتهم، وتُحفظ وحدتهم، وترتقي بهم علماً وعملاً،

وتُثبِّتهم على متابعة السَّعي في الخير وبذل المعروف، وعَدَم الاتِّكال على شرف النَّسب وفضيلة الآباء، وفي

الحديث تَطْمِئِنُّ وَبُشْرَى لِمَنْ سَعَى بِأَيِّ عَمَلٍ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ فِي أَنْ الْحَيْرِ وَالنَّوَابِ سَيَصِيبَانِهِ فِي

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَعَوْنُ اللَّهِ يَتَحَقَّقُ بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْهِيدِ

لِعَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، وبالنَّجاة من العذاب في الآخرة. فكأنَّ النَّبِيَّ ﷺ يجعل من قوله " وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا

^{٩٠٩} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ١٠. ص. ٥٣٢.

^{٩١٠} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. ج.

٢٠٧٤:٤. رقم الحديث ٢٦٩٩.

كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" شِعَاراً يَتَّبِعُهُ الْمُسْلِمُ لِيَكُونَ لَهُ نِبْرَاساً فِي الْحَيَاةِ، وَيَجْتَهِدُ لِأَنْ يَسْتَبْقِيَ مِنَ الْعَمَلِ الطَّيِّبِ مَا يَزِيدُ فِي حَسَنَاتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَذَلِكَ إِنْ تَطَوَّعَ فِي صِنْفٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ مِنَ الْأَعْمَالِ أَحَبَّرَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"^{٩١١}.

وقال عليه الصَّلَاةُ السَّلَامُ: "كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ"^{٩١٢}، والمعروف كما شَرَحَهُ مصطفى البغا في تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْحَدِيثِ هُوَ: "اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا عُرِفَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَكُلِّ مَا نَدَبَ إِلَيْهِ الشَّرْعُ مِنْ وُجُوهِ الْإِحْسَانِ، وَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الْقَبَائِحِ"^{٩١٣}، وَقِيلَ إِنَّ "اسْمَ الْمَعْرُوفِ يُطْلَقُ عَلَى مَا عُرِفَ بِأَدِلَّةِ الشَّرْعِ أَنَّهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ سَوَاءٌ جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ أَمْ لَا"^{٩١٤}. كَمَا أَنَّ الصَّدَقَةَ تُطْلَقُ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ^{٩١٥}.

وَبِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ تُوضِّحُ الدِّرَاسَةُ أَنَّ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ لِمَفْهُومِ الْمَعْرُوفِ وَالصَّدَقَةِ تَفْتَحُ الْمَجَالَ أَمَامَ كُلِّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَطَوَّعَ وَلَمْ يَجِدْ شَيْئاً يَجُودُ بِهِ إِقَاماً لِقُرْهٍ أَوْ لِعَجْزِهِ، فَلَنْ يُعْيِيهِ أَنْ يَبْسُطَ الْوَجْهَ عِنْدَ لِقَاءِ الْمُهْمُومِ، أَوْ يُؤَانِسَ الْحَزِينَ بِطِيبِ الْكَلَامِ، أَوْ أَنْ يُنَجِّيَ شَيْئاً مُؤْذِياً مِنْ طَرِيقِ الْأَنَامِ، وَهَذِهِ أَعْمَالٌ بَسِيطَةٌ لَكِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا، وَيُنِيبُ عَلَيْهَا أَجْرَ الصَّدَقَةِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِعْلُ أَيِّ عَمَلٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيُحْرِصْ عَلَى كَفِّ شَرِّهِ عَنِ النَّاسِ، فَإِنْ فَعَلَ حَازَ أَجْرَ الصَّدَقَةِ^{٩١٦}، حَيْثُ قَالَ ﷺ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ

^{٩١١} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الوصية. باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته. ج. ٣: ١٢٥٥. رقم الحديث ١٦٣١.
^{٩١٢} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب كل معروف صدقة. ج. ٨: ١١. رقم الحديث ٦٠٢١. مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الزكاة. باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف. ج. ٢: ٦٩٧. رقم الحديث ١٠٠٥.
^{٩١٣} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. ج. ٨: ١١.
^{٩١٤} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ١٠. ص. ٤٤٨.
^{٩١٥} ابن رجب الحنبلي. ٢٠٠١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. ج. ٢. ص. ٥٨.
^{٩١٦} المصدر نفسه. ج. ٢. ص. ٨٨.

اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»^{٩١٧}، وبهذا يكون الحديث النبوي الشريف قد شمل الموسر والمعسر، والرجل والمرأة، والعمل الكثير والقليل في إمكانية التَطَوُّع وتَحْصِيلِ الأجر، وفيه إشارة قوية إلى تَطَوُّعِ عَطَاءِ السُّلْبِ من خِلالِ كَفِّ الأذى والإمساك عن الشَّرِّ.

وفي الحديث أيضاً "تَنْبِيهِ لِلْمُؤْمِنِ الْمُعْسِرِ عَلَى أَنْ يَعْمَلَ بِيَدِهِ وَيَنْفِقَ عَلَى نَفْسِهِ، وَيَتَصَدَّقَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَكُونَ عِيَالاً عَلَى غَيْرِهِ"^{٩١٨}. أبواب الخير كثيرة تَنْتَظِرُ طَارِقاً يَطْرُقُ أَيَّاً مِنْهَا، وَاللَّهُ يَفْتَحُ لَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُعِينَهُ بِفَضْلِهِ، وَيَقْبَلُ مِنْهُ بِكَرَمِهِ.

وَتُظْهِرُ الْبَاحِثَةُ أَنَّ هَذَا مِنَ الْيُسْرِ الَّذِي يَتَمَتَّعُ بِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ، إِذْ لَا يَدَعُ مَجَالاً يُمَكِّنُ أَنْ يَرْتَقِيَ بِالْإِنْسَانَ حُلُقاً وَسُلُوكاً وَيَجْعَلُهُ أَهْلًا لِنَيْلِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا وَدَلَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، وَيَسَّرَ لَهُمْ تَطْبِيقَهُ، مَعَ مِرَاعَاةِ أَحْوَالِهِمْ، وَمَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ، فَالْإِحْسَانُ وَالتَّطَوُّعُ وَالْعَطَاءُ لَيْسَ حِكْراً عَلَى الْمُسِيرِينَ، بَلْ يُمَكِّنُ لِلْجَمِيعِ مُمَارَسَتَهُ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِزَالَةِ الْحَرَجِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ انْسِجَاماً مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿.. هُوَ أَجْتَبَلَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ..﴾^{٩١٩}، وَالتَّطَوُّعُ فِي الْخَيْرِ بِكُلِّ أَشْكَالِهِ وَدَرَجَاتِهِ مَا هُوَ إِلَّا دِينٌ.

^{٩١٧} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ. ج ٢: ١١٥. رقم

الحديث ١٤٤٥.

^{٩١٨} العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب: كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ. ج. ٢٢. ص. ١١٢.

^{٩١٩} القرآن. الحج: ٢٢: ٧٨.

وعند النَّظَر والاستقراء في الأحاديث النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَةِ التي تناولت الحثَّ على التَّطَوُّع، لاحظت الباحثة أنَّ الدَّعوة إلى التَّطَوُّع وإن كانت دعوةً لكلِّ المسلمين لِيَتَحَلَّقُوا بهذا الخُلُق العظيم، وَيَتَعَاوَنُوا على الْبِرِّ والإحسان، إلاَّ أنَّ فائدة هذا الخير غَيْر مُقَيَّدَةٍ لِيَسْتَفِيدَ منها المسلم فقط، بل هي دَعْوَةٌ عَامَّةٌ شاملةٌ، يَسْتَفِيدُ منها عُموم النَّاسِ، مسلمين وغير مسلمين، بل وَيَنْتَفِعُ بها كلُّ ذي كَبِدٍ رَطْبَةٍ من المخلوقات الأخرى، حيث قال ﷺ: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بَعْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبَعْرَ فَمَلَأَ حُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَعَفَرَ لَهُ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»^{٩٢٠}، فإذا كان التَّطَوُّع لِسُقْيَا كَلْبٍ سَبَبًا فِي إِنْعَامِ اللَّهِ على هذا العبد بالشُّكْرِ والمَغْفِرَةِ، فكيف بَمَنْ يَتَطَوَّعُ لخدمَةِ أخيه الإنسان بِنِيَّةِ التَّقَرُّبِ إلى اللَّهِ، ولو بأبسط الأعمال كالذَّيِّ أَحْبَبَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ بقوله: " لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ "٩٢١! لقد كانت الجَنَّةُ جائزةً لهذا الرَّجُلِ الذي نَحَى الأذى عن الطَّرِيقِ لِيَسَلَّمَ كُلُّ مَنْ يَمُرُّ مِنَ النَّاسِ، فالطَّرِيقُ عَامٌّ يَمُرُّ مِنْهُ المسلم وغير المسلم، والبرُّ والفاجر، والصَّغِيرُ والكبير، بل يَعْمُ النَّفْعُ كُلُّ مَنْ يَسْتَعْدِمُ الطَّرِيقَ حَتَّى مِنْ غَيْرِ الْعُقَلَاءِ، وهذه هي سَمَاحَةُ الإِسْلَامِ الذي يُرَغِّبُ المسلم لأنَّ يَكُونَ مُتَطَوِّعًا مُحْسِنًا، وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.

وَيَلْفُتُ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثٍ آخَرَ عناية المسلمين لِيُحَافِظُوا على حَقِّ الطَّرِيقِ حِفْظًا لِدِينِهِمْ، وَصَوْنًا لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْإِثْمِ، وَحِرْصًا على أَعْرَاضِ النَّاسِ وَمَشَاعِرِهِمْ، وَقَضِيَّةِ الْإِهْتِمَامِ بِمَشَاعِرِ الْآخَرِينَ مِنْ

^{٩٢٠} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. ج ٨: ١٠٠. رقم الحديث ٦٠٠٩.

^{٩٢١} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب البرِّ والصلة والآداب. باب فَضْلِ إِزَالَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ. ج. ٤: ٢٢١. رقم الحديث ١٩١٤.

الكفايات التي تُبرز الباحثة أهمية التنبه لها، وتعليمها للصغار، حيث يقول ﷺ: " إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ"، فقالوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قالوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «عَضُّ البَصْرِ، وَكُفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»^{٩٢٢}، وكُلُّهَا تَوْجِيهَاتٌ سَامِيَةٌ تَمَّ عَنْ أَخْلَاقٍ رَاقِيَةٍ، وَالإلتزام بِهَا يَتَعَدَّى نَفْعَهُ لِكُلِّ المَارَةِ، دُونَ تَمَيُّزٍ بَيْنَهُمْ عَلَى أَسَاسِ الجِنْسِ أَوْ اللُّونِ أَوْ الدِّينِ.

وحديثٌ آخَرٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَحْتَضِرُ فِيهِ المَسْلَمِينَ عَلَى تَقْدِيمِ النِّفْعِ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ خِلَالِ تَقْدِيمِ النِّفْعِ لِأُخْرَى دُونَ تَمَيُّزٍ، حَيْثُ يَقُولُ ﷺ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعْرِسُ عَرَسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَيْهَمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"^{٩٢٣}. وهذه الأحاديث وغيرها كثير، فيها تَوْجِيهٌ لِلْمَسْلَمِ نَحْوَ الشُّعُورِ بِالمَسْئُولِيَّةِ المِجْتَمَعِيَّةِ تَحَاةً مَنْ يُشَارِكُونَهُ الحَيَاةَ عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ، وَهِيَ مَسْئُولِيَّةٌ تَسْعَى الدَّسَاتِيرُ الوُضْعِيَّةُ وَالمُؤَسَّسَاتُ الحُكُومِيَّةُ، وَالمُؤَسَّسَاتُ المِجْتَمَعِيَّةُ المَدِينِيَّةُ لِلتَّنْبِيهِ عَلَيْهَا، وَتَبْدُلِ الكَثِيرِ مِنَ الجُهُودِ لِتَفْعِيلِهَا فِي نَفُوسِ الأَفْرَادِ وَالجَمَاعَاتِ. لِذَا فَإِنَّ الدِّرَاسَةَ تُرْشِدُ المُرْتَبِينَ إِلَى الأَهْمِيَّةِ طَرَحٍ مِثْلِ هَذِهِ المَفَاهِيمِ أَمَامَ المُرْتَبِينَ الصِّغَارِ فِي وَقْتِ مُبَكَّرٍ مِنْ حَيَاتِهِمُ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالتَّعْلِمِيَّةِ، وَتَوْجِيهٌ أَفْهَامَهُمْ إِلَيْهَا لِتَنَمُّوْا فِي نَفُوسِهِمْ كِفَايَةً تُحْمَلُ المَسْئُولِيَّةُ، لَيْسَ فَقَطْ تَحَاةً النَّاسِ، بَلْ تَحَاةً البِيئَةِ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِالتَّرْبِيَةِ البِيئِيَّةِ^{٩٢٤}.

^{٩٢٢} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب المظالم والغصب. باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصُّعَدَاتِ. ج ٣: ١٣٢. رقم الحديث ٢٤٦٥. ومسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب اللباس والزينة. باب التهي عن الجلوس في الطُّرُقَاتِ وإعطاء الطَّرِيقَ حَقَّهُ. ج ٣: ١٦٧٥. رقم الحديث ٢١٢١.

^{٩٢٣} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب المزارعة. باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه. ج ٣: ١٠٣. رقم الحديث ٢٣٢٠. ومسلم. صحيح مسلم. كتاب المساقاة. باب فضل الغرس والزرع. ج ٣: ١١٨٩. رقم الحديث ١٥٥٣.

^{٩٢٤} فتحة طويل. ٢٠١٢/٢٠١٣. التَّربِيَةُ البِيئِيَّةُ وَدَوْرُهَا فِي التَّنْمِيَةِ المَسْتَدَامَةِ. (رسالة دكتوراة). جامعة مُحَمَّد خيضر - بسكرة - الجزائر.

ولقد حصَّ النَّبِيُّ ﷺ في قِسْمٍ من أحاديثه الشَّريفة بعض فئات المجتمع بالاهتمام، ورغَّب في توجَّيه دَفَّةِ التَّطَوُّعِ نَحْوَهُم بِتَقْدِيمِ العَوْنِ لَهُم، والإِكْرَامِ والإِحْسَانِ إِلَيْهِم كالأرْمَلَةَ والمِسْكِينَ، وذلك لِرِقَّةِ حَالِهِمْ وَضَعْفِهِمْ، فقال ﷺ: " السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينَ كالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ: كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ"^{٩٢٥}، فَبَيَّنَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ القائمَ على مِصَالِحٍ أو لِأَجْلِ مِصَالِحٍ التي تُوفِّي عنها زوجها، والمِسْكِينَ الذي أَسْكَنَتْهُ الحَاجَةُ والفَقْرُ وليس لديه ما يكفيه^{٩٢٦} فله أَجْرٌ عَظِيمٌ يُوَازِي أَجْرَ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وما فِي الجِهَادِ من كُلفَةٍ ومَشَقَّةٍ، أو أَجْرَ الذي يصوم نهاره، ويقوم ليلته يَتَقَرَّبُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وتعالى، وما فِي القيامِ من تَعَبٍ ونَصَبٍ.

وترى الباحثة أَنَّهُ قد يكون لاسْتِخدامِ صيغةِ الفاعِلِ فِي لُفْظِ "السَّاعِي"؛ والتي تُفيدُ فيما تُفيدُ الاستِمْراريةَ والثَّبوتَ كما يقولُ أَهلُ اللُّغَةِ^{٩٢٧}؛ دَلِيلٌ على الدَّعوةِ الصَّريحَةِ مِنْهُ ﷺ لاسْتِمْراريةِ التَّطَوُّعِ فِي هذا النُّوعِ مِنَ العَطَاءِ الذي يُعبِّرُ عن أَهمِّيَّةِ التَّكافلِ الاجْتِماعِيِّ، والتَّأكيدِ على أَنَّ المُسلمَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ حينَ يَخْدُمُ غيره، فهذه الخِدْمَةُ تُورِثُهُ الأَجورَ العَظيمةَ، لأنَّهُ بهذا الدَّعمِ يَعْبُدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وهنا تُوسِّعُ لمفهومِ العِبادةِ، وهذا هو دَيْدَنُ الإِسْلامِ فِي تعاليمِهِ، إذ يُدَكِّرُ المُسلمَ فِي كلِّ حَرَكَةٍ لَهُ فِي هذه الحَيَاةِ أَنَّهُ مخلوقٌ لِعِبادةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وتَحْقِيقِ هذه العِبوديَّةِ يَكْتَنِفُ كلَّ أَشْكالِ الحَيَاةِ، ومن ذلك تَقْدِيمُ ما اسْتَطاعَ من أَشْكالِ العَوْنِ لِأَخِيهِ طالما كان مَشروعاً، فَتَتَفَوَّى الأَواصِرَ بَيْنَ العِبادةِ، وَيَنْهَزِمُ حَظُّ النَفْسِ، وَنَحْسِرُ الأَحْقادَ.

^{٩٢٥} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب الساعي على الأرملة. ج ٨: ٩. رقم لحديث ٦٠٠٦.
^{٩٢٦} الشوكاني. ١٤١٤هـ. فتح القدير. ج ١. ص ١٢٦. الشعراوي. د.ت. تفسير الشعراوي - الخواطر. ج ١. ص ٤٣١. السعدي.
^{٩٢٧} م. ٢٠٠٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص ٤٨٢، ٦٤٢.
^{٩٢٧} السامرائي، فاضل صالح. ٢٠٠٧م. معاني الأنبياء في اللغة العربية. الطبعة الثانية. عمان: دار عمار للنشر والتوزيع. ص ٤٥.

ولقد كان الجار والضيف من الفئات التي حَصَّها النبي ﷺ بحديثه للاهتمام بها، والتطوُّع في خدمتها، وحَدَّر من الإساءة إليها في أكثر من حديثٍ، حيث قال ﷺ: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ... " ٩٢٨، وفي روايةٍ: " ... وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ " ٩٢٩، فجعل إكرام الضيف والجار والإحسان إليهما من تمام إيمان المسلم، قال القاضي عياض رحمه الله: " من التزم شرائع الإسلام لزومه إكرام جاره وضيِّفه وبرهما، وكلّ ذلك تعريفٌ بحقِّ الجار، وحثُّ على حفظه، وقد أوصى الله تعالى بالإحسان إليه في كتابه العزيز " ٩٣٠، فالإحسان للجار، والإكرام للضيف من آداب الإسلام، وحُلق النَّبِيِّين ودأب الصَّالحين، وقيل: " في هذا الحديث من الفقه أن يعتقد الإنسان أن إكرام الضيف عبادةٌ لا يُنقصها أن يُضيف غنيًّا، ولا يُعزِّرها أن يُقدِّم إلى ضيفه السير ممَّا عنده، فأكرامه أن يُسارع إلى البشاشة في وجهه، ويُطَيِّب الحديث له، وعماد أمر الضيافة إطعام الطَّعام، فينبغي أن يُبادر بما فتح الله من غير كُلفة " ٩٣١، وقد أجمع المسلمون على أن الضيافة من مُتأكِّدات الإسلام، ودَكَر الشَّافعي ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله تعالى والجمهور أنَّها سنَّةٌ ليست بواجبةٍ ٩٣٢، وقال ابن حجرٍ رحمه الله تعالى: " الأمر بالإكرام يُختلف باختلاف

٩٢٨ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ج ٨: ١١. رقم الحديث

٦٠١٨.

٩٢٩ مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان. ج. ١: ٦٨. رقم الحديث ٤٧.

٩٣٠ النووي. ١٣٩٢هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج. ٢. ص. ١٨.

٩٣١ ابن دقيق العيد. ٢٠٠٣م. شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية. ص. ٦٩.

٩٣٢ النووي. ١٣٩٢هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج. ١٢. ص. ٣٠.

الأشخاص والأحوال، فقد يكون فَرَضَ عَيْنٍ، وقد يكون فَرَضَ كِفَايَةِ، وقد يكون مُسْتَحَبًّا، ويُجْمَعُ الجميعُ أَنَّهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ^{٩٣٣}.

ثَانِيًا: حَضُّ النِّسَاءِ عَلَى التَّطَوُّعِ

لقد كان للمرأة حَظٌّ وافرٌ من التَّوَجِيهَاتِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ فِي الْحَضِّ عَلَى التَّطَوُّعِ، وَإِنْ كَانَتْ دَاخِلَةً ضَمْنًا فِي الْأَحَادِيثِ الْعَامَّةِ الَّتِي جَاءَتْ بِصِيغَةِ التَّنْكِيرِ، فَهِيَ مُكْرَمَةٌ كَتَكْرِيمِ الرَّجُلِ، وَمُكَلَّفَةٌ شَرْعًا كَمَا هُوَ مُكَلَّفٌ، لَكِنَّهُ الْإِهْتِمَامُ النَّبَوِيُّ بِالْمَرْأَةِ وَشُؤُونِهَا، وَالتَّقْدِيرُ الشَّرْعِيُّ لَهَا وَلِخِصَائِصِهَا وَكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، فَهِيَ الْمَرْبِيَّةُ لِلْأَجْيَالِ، وَفِي ظِلِّ صَلَاحِهَا يُصْنَعُ الرَّجَالُ.

وهذا ما تَوَدُّ الْبَاحِثَةُ التَّأَكِيدَ عَلَيْهِ فِي ذِكْرِ تَطَوُّعِ النِّسَاءِ هُنَا، فَالْمَرْأَةُ هِيَ الرَّاعِيَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِيَ الْمَوْجَّهَةٌ لِلْأَبْنَاءِ بِكَرِيمِ خُلُقِهَا وَطَيْبِ فِعْلِهَا، فَإِنْ كَانَ التَّطَوُّعُ صِفَةً مُلَازِمَةً لَهَا، نَشَأَ الْأَطْفَالُ عَلَى حُبِّ التَّخَلُّقِ بِهِ، وَصَارَ حُبُّ الْعَطَاءِ صِفَةً مُحِبَّةً لَهُمْ، لَنْ يَسْتَهْجِنُوهَا لِاحِقًا إِنْ صَادَفُوا تَذْكَيرًا بِهَا وَهَمَّ عَلَى مَقَاعِدِ الدِّرَاسَةِ. ففِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ « فَمَنْ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ». "٩٣٤ فَتَحَ ﷺ لِهُنَّ بَابَ خَيْرٍ لِلْمَغْفِرَةِ يَلْجُنُ مِنْهُ إِلَى النَّجَاةِ مِنْ مَعَبَّةٍ فِعْلُهُنَّ لِأَمْرَيْنِ يورثان العِقَابَ وهما: سَبُّ اللِّسَانِ بِكَثْرَةِ اللَّعْنِ، وَهُوَ الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ حَالَ الدُّعَاءِ عَلَى أَحَدٍ، وَكُفْرَانِ الْعَشِيرِ، أَيْ التَّنْكَرُ لِإِحْسَانِ الزَّوْجِ، أَوْ الْمَعَاشِرِ الْمُخَالِطِ مِنْ صَدِيقٍ، أَوْ قَرِيبٍ حَسَبَمَا جَاءَ فِي مَعَاجِمِ اللُّغَةِ فِي مَعْنَى الْعَشِيرِ^{٩٣٥}، فَأَعْلَمَهُنَّ ﷺ أَنَّ هَاتَيْنِ الْحِصْلَتَيْنِ مِنْ قُبَائِحِ خِصَالِ

^{٩٣٣} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ١٠. ص. ٤٤٦.

^{٩٣٤} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب: الزكاة على الأقارب. ج ٢: ١٢٠. رقم الحديث ١٤٦٢.

^{٩٣٥} جبل. ٢٠١٢. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. باب العين (عشر). ج. ٣. ص. ١٥٠٣.

النِّسَاء، ولا يَلِيقُ بالمرأة المسلمة الاِتِّصافُ بهما، ولذا وَجِبَ التَّخَلُّصُ منهما، وَأَنَّ مِمَّا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ كَثْرَةُ التَّطَوُّعِ بِالصَّدَقَةِ.

وقد تَسْتَعْظِمُ بعضُ النِّسَاءِ مِقْدَارَ الصَّدَقَةِ، خَاصَّةً مَن كَانَتْ رَقِيقَةً الْحَالِ، فَتَرَى نَفْسَهَا غَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَطَاءِ، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي عِدَدٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ أَنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الْعَطَاءِ مَحْمُودٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِثْلَ حَدِيثِ التَّصَدُّقِ بِشِقِّ تَمْرَةٍ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ^{٩٣٦}، فَهَذَا الْيَسِيرُ مِنَ الصَّدَقَةِ يَسْتَرُ مِنَ النَّارِ. وَنَهَى ﷺ عَنِ اسْتِقْلَالِ وَاحْتِقَارِ الْعَطِيَّةِ فَقَالَ: " يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لِحَارَتِهَا، وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةً"^{٩٣٧}، وَهَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ عَظِيمٍ، إِذْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلًا لِلْعَطِيَّةِ كَأَبْسَطِ مَا تَكُونُ مِمَّا تَحْتَقِرُهُ النِّسَاءُ عَادَةً وَتُسَبِّقَلُهُ، فَتَسْتَحِي مِنْ إِهْدَائِهِ كَفَرَسَنَ الشَّاةِ^{٩٣٨}، لِأَنَّهَا يَمْلَأُ فِي الْغَالِبِ إِلَى التَّبَاهِي بِعِظَمِ الْعَطِيَّةِ، وَاحْتِقَارِ الْقَلِيلِ مِنْهَا، وَضَرَبَ الْمَثَلَ بِهَذَا الْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْعَطَاءِ يُقْصَدُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي تَشْجِيعِ النِّسَاءِ وَحَثِّهِنَّ عَلَى الْعَطِيَّةِ سِوَاءَ كَانَتْ هِبَةً أَمْ صَدَقَةً أَمْ هَدِيَّةً، فَكُلُّهَا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسَمَّى الْعَطِيَّةِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَهَا نِيَّةَ الْمُعْطِي^{٩٣٩}، وَيُلَاخِظُ فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا جَانِبَ التَّوَدُّدِ لِلجِيرَانِ بِالْهَدِيَّةِ الطَّيِّبَةِ، وَإِنْ كَانَتْ بَسِيطَةً، فَهَذَا مِمَّا يُؤْتَدُّ وَشَائِحِ الْأُخُوَّةِ، وَيُشْبِعِ الْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْجِيرَانِ، وَيُحَقِّقُ مَقْصِدًا مِنْ مَقَاصِدِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

وترى الباحثة أَنَّ الْحَدِيثَ لَهُ وَجْهٌ آخَرَ فِي الدَّلَالَةِ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ التَّشْجِيعَ عَلَى الْعَطَاءِ مَهْمَا كَانَ قَلِيلًا، فَفِيهِ أَيْضًا تَنْبِيهٌُ لِلْمُهْدِي إِلَيْهَا أَنَّ تَقْبَلَ الْعَطَاءِ مَهْمَا كَانَ قَلِيلًا، وَتَشْكُرُ مَنْ

^{٩٣٦} انظر ص ٢٣٢ من هذا البحث.

^{٩٣٧} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الهبة وفضلها. باب الهبة وفضلها والتحرير عليها. ج ٣: ١٥٣. رقم الحديث ٢٥٦٦. وفي كتاب الأدب باب: لا تحقرن جارة لِحارتها. ج ٨: ١٠٠. رقم الحديث ٦٠١٧. ومسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الزكاة. باب الحث على الصدقة، ولو بالقليل ولا تمنع من القليل لإحتفاره. ج ٢: ٧١٤. رقم الحديث ١٠٣٠.

^{٩٣٨} وهو ما دون الرسغ من يد الشاة، وقيل هو عظم قليل اللحم، وقيل هو الظلف وأصله في الإبل، وهو يقابل القدم في الإنسان.

^{٩٣٩} ابن قدامة المقدسي. د. ت. المعني. ج. ٦. ص. ٤١.

أهدتها، وتكون ممتنة لمبادرتها الطيبة بالإهداء، يعضد هذا المعنى حديث النبي ﷺ حين قال: " لو دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ ٩٤٠ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ " ٩٤١، وهذا من حُسن خُلُقهِ ﷺ، وتواضعه، إذ إنه ﷺ على عِظَمِ قَدْرِهِ وَمَنْزِلَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ بَسِيطَةً مُتَوَاضِعَةً قَلِيلَةً، وَيُجِيبُ الدَّعْوَةَ وَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَدْعُوٌّ إِلَى يَسِيرٍ، وَلِذَلِكَ ذَكَرَ الْفَرَسَنُ وَالْكُرَاعُ فِي حَضِّهِ عَلَى التَّطَوُّعِ بِالْعَطَاءِ وَبِالْهَدِيَّةِ رَفْعًا لِلخُرُجِ مِنَ الطَّرْفَيْنِ: الْمُهْدِيِ أَوِ الدَّاعِيِ، وَالْمُهْدَى إِلَيْهِ أَوِ الْمَدْعُوِّ، قَالَ الْمُهَلَّبُ: " لَا بَاعِثَ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى الطَّعَامِ إِلَّا صِدْقَ الْمَحَبَّةِ، وَسُرُورَ الدَّاعِيِ بِأَكْلِ الْمَدْعُوِّ مِنْ طَعَامِهِ، وَالتَّحَبُّبَ إِلَيْهِ بِالْمَوَاكَلَةِ " ٩٤٢.

ومن التَّوَجُّهَاتِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ فِي حَضِّ النِّسَاءِ عَلَى التَّطَوُّعِ بِالْعَطَاءِ مَا أَوْزَدَهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قِصَّةِ الْمَرْأَةِ الَّتِي جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُ عَنْ خُرُوجِ النِّسَاءِ لَشَهَادَةِ صَلَاةِ الْعِيدِ، وَهَذَا طَرَفٌ مِنْهَا: " .. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَى إِحْدَانَا بَأْسٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا جِلْبَابٌ أَنْ لَا تَخْرُجَ؟ فَقَالَ: «لَتُلْبِسُنَهَا صَاحِبَتَهَا مِنْ جِلْبَابِهَا، فَلْيَشْهَدَنَّ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُؤْمِنِينَ» ٩٤٣، فَالنَّبِيُّ ﷺ يُحَضُّ النِّسَاءَ عَلَى تَلْمُسِ حَاجَةِ أَخَوَاتِهِنَّ فَيَتَطَوَّعْنَ لَسَدِّهَا بِمَا يَتَيَسَّرُ لِدَيْهِنَّ، رَغْبَةً فِي الْأَجْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وترى الباحثة أَنَّ لَفْظَ النَّبِيِّ ﷺ "صَاحِبَتَهَا" لَهُ دَلَالَةٌ خَاصَّةٌ، حَيْثُ يُدَكِّرُ بِالْمَلَاذِمَةِ بَيْنَ الْمَرَاتَيْنِ: الْقَادِرَةِ عَلَى الْعَطَاءِ، وَالْحَاجَةِ لِلْعَطَاءِ، فَالصَّاحِبُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْمَعَاشِرُ ٩٤٤، لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الصُّحْبَةِ الْمَلَاذِمَةُ

٩٤٠ الكُرَاعُ، بِضَمِّ الْكَافِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ وَبِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ: مُسْتَدَقُ السَّاقِ مِنَ الرَّجْلِ وَمِنْ حَدِّ الرَّسْغِ مِنَ الْيَدِ وَهُوَ مِنَ الْبَقْرِ وَالْغَنَمِ بِمَنْزِلَةِ الْوُظَيْفِ مِنَ الْفَرَسِ وَالْبَعِيرِ. وَقِيلَ: الْكُرَاعُ مَا دُونَ الْكَعْبِ مِنَ الدَّوَابِّ.

٩٤١ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب النكاح. باب: مَنْ أَجَابَ إِلَى كُرَاعٍ. ج ٧: ٢٥٠. رقم الحديث ٥١٧٨.

٩٤٢ العيني. د. ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب النكاح. باب: مَنْ أَجَابَ إِلَى كُرَاعٍ. ج ٢٠: ١٦١. ص ١٦١.

٩٤٣ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. أبواب العيدين. باب: إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا جِلْبَابٌ فِي الْعِيدِ. ج ٢: ٢٢٠. رقم الحديث ٩٨٠.

٩٤٤ الزبيدي، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْحُسَيْنِيِّ، أَبُو الْفَيْضِ، الْمَلَقَبُ بِمِرْتَضَى. د. ت. تاج العروس من جواهر القاموس. المحقق: مجموعة من المحققين. دار الهداية. ج ٣: ١٨٥.

واللصوق^{٩٤٥}، وقيل أيضاً إن: "الصاحب: الملازم، إنساناً كان أو حيواناً، أو مكاناً، أو زماناً، ولا فَرْق بين أن تكون مصاحبته بالبدن-وهو الأصل والأكثر- أو بالعناية، والهمة"^{٩٤٦}، فاستعمال النَّبِيِّ ﷺ لهذا اللَّفْظ في حَثِّ النِّسَاءِ عَلَى التَّطَوُّعِ لَا يَخْلُو مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى مَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمَتَيْنِ مِنْ مُلَازِمَةِ بَدَنِ بَدَوَامِ الزِّيَارَةِ وَالتَّفَقُّدِ، أَوْ إِظْهَارِ عِنَايَةٍ وَاهْتِمَامٍ، وَهَذَا يَعْكُسُ الْمَوَدَّةَ وَالتَّرَاحُمَ فِي عِلَاقَةِ الْمُسْلِمَةِ بِأَخْتِهَا الْمُسْلِمَةِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ، وَهَذِهِ الْمَصَاحِبَةُ تَدْفَعُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا إِلَى تَحْرِيهِ حَاجَةِ الْأُخْرَى، وَتَفْقُدُ أَحْوَالَهَا، وَدَوَامِ التَّوَاصُلِ، فَهَذَا مِمَّا يُفَوِّضُ الْحُبَّةَ وَالْمَوَدَّةَ، وَيُوثِّقُ الصَّلَةَ، وَيُعَزِّزُ التَّعَاوُنَ وَالتَّكَاوُلَ بَيْنَ النَّاسِ، الَّذِي هُوَ مُقْصِدٌ مِنْ مَقَاصِدِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْخَفِيِّ.

تُشِيرُ الدِّرَاسَةُ إِلَى بَعْضِ الْكِفَايَاتِ وَالْمَهَارَاتِ الَّتِي يَسْتَطِيعُ الْمَرْبُوتُ اسْتِلْهَامَهَا مِنْ أَحَادِيثِ حَضِّ النَّبِيِّ ﷺ النِّسَاءِ عَلَى التَّطَوُّعِ وَتَوْجِيهِهَا لِلصَّغَارِ، مِنْهَا: كِفَايَةُ التَّوَاصُلِ مَعَ الْآخَرِينَ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِهْدَاءِ، وَمِنْهَا كِفَايَةُ الشُّكْرِ عَلَى الْقَلِيلِ، وَالتَّحَلِّيِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَمَهَارَةُ إِدَارَةِ الْمَشَاعِرِ بِطَرِيقَةٍ إِجَابِيَّةٍ تُجَنِّبُ الْوُقُوعَ فِي خَطِيئَةٍ كَثْرَةَ اللَّعْنِ الَّتِي كَانَتْ سَبَباً فِي دُخُولِ النَّارِ.

ثَالِثًا: حَضُّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى تَعْلِيمِ التَّطَوُّعِ لِلصَّغَارِ

وَإِذَا كَانَتْ عَامَّةُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ مُوجَّهَةً لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ عَالَمَ الطُّفُولَةِ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ التَّوَجِيهِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ تَعَزِيزًا لِلجَانِبِ التَّرْبَوِيِّ وَالْإِيمَانِيِّ فِي شَخْصِيَّةِ الطِّفْلِ مِنْذُ نَعُومَةِ أَظْفَارِهِ، وَتَعْوِيدًا لَهُ عَلَى تَحْمُلِ الْمَسْئُولِيَّةِ مُسْتَقْبَلًا، وَإِنْ كَانَ فِي مَرِحَلَةٍ عُمَرِيَّةٍ حَلَّتْ مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ، لَكِنَّهَا مَرْزَعَةٌ خِصْبَةٌ لِلْمَفَاهِيمِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ، وَلَنْ يُحْرَمَ الصَّغِيرُ أَجْرَ مَا يَقُومُ بِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ

^{٩٤٥} جبل. ٢٠١٢. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. باب الصاد (صحب). ج. ٣. ص. ١٢٣٢-١٢٣٣.

^{٩٤٦} أبو حبيب، سعدي. ١٩٨٨م. القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً. الطبعة الثانية. سورية- دمشق: دار الفكر. ص. ٢٠٧.

والطاعات، فهي بمثابة التطوع منه، ولذا جاء التوجيه النبوي الكريم لتعليم الأبناء الصلاة منذ الصغر، حيث قال ﷺ: " مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سِنِينَ وَاصْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ... " ٩٤٧، فيعود الصبي على الصلاة منذ صغره ويؤمر بها إذا بلغ السابعة من عمره ٩٤٨، والأمر هنا للنذوب وليس للوجوب، ولذلك قال الشافعي رحمه الله تعالى: " على الآباء والأمهات أن يؤدّبوا أولادهم، ويُعلّموهم الطهارة والصلاة، ويضربوهم على ذلك إذا عَقَلُوا " ٩٤٩.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما فيما يأتي ما يدل على اهتمام النبي ﷺ بتعليم الصغیر الوضوء والصلاة، إذ يروي، وكان إذ ذاك صغيراً ٩٥٠، ما شاهدته من النبي ﷺ بقوله: " بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ، «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَضَّأَ مِنْ شَيْءٍ مُعَلَّقٍ وَضُوءاً خَفِيئاً - يُخَفِّفُهُ عَمْرُو وَيَقْلِلُهُ جِدًّا -، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ، فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَحَوَّلَنِي، فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ... " ٩٥١. لقد حوّلته ﷺ برفقٍ ولين، وعلمه بلطفٍ تعليمًا أبويًا عمليًا كيفية الوقوف الصحيحة مع الإمام، ولم يؤدّبها، أو يُعَاتِبها، أو يَرْجُزها بعد انتهاء الصلاة لأنه قام بعملٍ لم يؤمر به، وفوق هذا أخطأ باختيار المكان الذي وقّف فيه للصلاة، لكنّه صادف

٩٤٧ السجستاني. د.ت. سنن أبي داود. كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة. ج. ١: ١٣٣. رقم الحديث ٤٩٥. وحكم الألباني بأنه حسن صحيح.

٩٤٨ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. ١٤٠٣هـ. شرح السنة. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش. الطبعة الثانية. دمشق، بيروت: المكتب الإسلامي. ج. ٢. ص. ٤٠٦.

٩٤٩ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. د. ت. المجموع شرح المهذب (مع تكملة الشبكي والمطيعي). دار الفكر. كتاب الحج. ج. ١٩. ص. ٣٢٩.

٩٥٠ العيني. د. ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب وضوء الصبيّان ومتى يجب عليهما الغسل والطهور وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز وصفتهم. ج. ٦. ص. ١٥٤.

٩٥١ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب وضوء الصبيّان، ومتى يجب عليهما الغسل والطهور، وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز، وصفتهم. ج. ١: ١٧١. رقم الحديث ٨٥٩.

حِلْمًا وَعَطْفًا وَتَوَجُّهًا رَاقِيًا مِنْ مُعَلِّمِ الرَّحْمَةِ ﷺ. فَحَرِيٌّ بِالْوَالِدَيْنِ وَالْمُعَلِّمِينَ وَمَنْ أُوَكِّلَتْ إِلَيْهِمْ مُهِمَّةُ تَعْلِيمِ الصَّغِيرِ وَتَأْدِيبِهِ أَنْ يَتَنَبَّهُوا لِهَذِهِ الْآدَابِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى اهْتِمَامٍ وَأَدَبٍ رَفِيعٍ وَرَفَقٍ فِي التَّعْلِيمِ، فَيَتَعَلَّمُوهَا أَسَالِيبَ تَرْبَوِيَّةً رَاقِيَةً لِنَشْئَةِ جَيْلٍ صَالِحٍ.

ثُمَّ أَمْرٌ آخَرَ تُوجِّهُ لَهُ الدِّرَاسَةَ وَتَرَاهُ جَدِيرًا بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ وَالتَّأَكِيدِ عَلَيْهِ، أَلَا وَهُوَ التَّعْلِيمُ وَالتَّرْبِيَّةُ بِالْقُدُورَةِ، فَالصَّغَارُ يَتَأَثَّرُونَ بِمَا يُشَاهِدُونَ، فَيُسَارِعُونَ بِالتَّقْلِيدِ، مِنْ هُنَا يَجِبُ أَنْ يُدْرِكَ المَرْبِي الحَكِيمُ أَنَّ أَفْضَلَ طَرِيقَةَ لِبَثِّ قِيَمَةِ التَّطَوُّعِ فِي نَفُوسِ النَّشْءِ هِيَ المَمارَسَةُ العَمَلِيَّةُ لِتِلْكَ القِيَمَةِ، بَلْ وَلِكُلِّ خُلُقٍ قَوْمٌ يُرِيدُ عَرَسَهُ فِي عَقُولِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَذَلِكَ لِيَعِيشُوهُ واقِعًا مَلْمُوسًا لَا نُصْحًا نَظْرِيًّا، وَكَأَنَّهُ سَحَابَةٌ صَيْفٍ مَرَّتْ وَأَجَلَتْ!

وهذا رسول الله ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الرِّفْقَ وَالتَّوَاضُعَ مَعَ الصَّغِيرِ وَمُلاطَفَتَهُ بِحَنَانٍ غَامِرٍ ٩٥٢، فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ النَّاسِ وَأَمَامَهُ بِنْتُ أَبِي العَاصِ؛ وَهِيَ ابْنَةُ زَيْنَبِ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ؛ عَلَى عَاتِقِهِ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ مِنَ السُّجُودِ أَعَادَهَا" ٩٥٣، وَكَانَ بِإِمْكَانِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَدَعَ الصَّبِيَّةَ الصَّغِيرَةَ دُونَ أَنْ يَحْمِلَهَا، خَاصَّةً وَأَنَّهُ كَانَ فِي صَلَاةِ فَرَضٍ وَخَلْفَهُ المَصَلِّينَ ٩٥٤، وَهِيَ رَكْنٌ عَظِيمٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُ ﷺ اخْتَارَ أَنْ يَحْمِلَهَا، فَإِذَا رَكَعَ وَسَجَدَ وَضَعَهَا عَلَى الأَرْضِ، وَإِذَا رَفَعَ أَعَادَهَا، وَهَكَذَا إِلَى أَنْ انْتَهَى مِنْ صَلَاتِهِ ﷺ، وَأَخَذَ العُلَمَاءُ مِنْ فِعْلِهِ ﷺ دَلِيلًا "جَوَازَ حَمْلِ الصَّبِيِّ وَالصَّبِيَّةِ فِي صَلَاةِ الفَرَضِ وَصَلَاةِ النَّفْلِ، وَيَجُوزُ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ وَالمَأْمُومِ وَالمُنْفَرِدِ" ٩٥٥.

٩٥٢ النووي. ١٣٩٢ هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج. ٥. ص. ٣١.

٩٥٣ مسلم. د. ت. صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جَوَازِ حَمْلِ الصَّبِيِّانِ فِي الصَّلَاةِ. ج. ١. ٣٨٥:١. رقم الحديث ٥٤٣.

٩٥٤ النووي. ١٣٩٢ هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج. ٥. ص. ٣٢.

٩٥٥ المصدر نفسه.

لظالما كان للدُّعاء الخالص أثرٌ على النفوس عجيبيٌّ، وتحفيزٌ للإقبال على العِلْم والطَّاعات رهيبيٌّ، خاصَّةً إذا صدرَ هذا الدُّعاء بمصاحبةِ ضَمَّةِ صدرٍ حانيةٍ من نبيِّ الرَّحمةِ ﷺ لواحدٍ من صِغارِ السِّنِّ في الأُمَّةِ مثل الصَّحابيِّ عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما حيث قال: " ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي الْحِكْمَةَ "٩٥٦، وفي روايةٍ: " اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي الْكِتَابَ "٩٥٧. لقد وُلِدَ هذا الصَّحَابِيُّ الجليل قبل الهجرة بثلاثِ سنواتٍ ٩٥٨، وصَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ نَحْوًا من ثلاثين شهرًا، كانت غَنِيَّةً بالمواقف والأحداث، ورَوَى عنه الكثير من الأحاديث ٩٥٩، وقُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ ولم يتجاوز عُمر ابن عباسٍ رضي الله عنه الثلاثِ عشرة سنةً، في أصحِّ الرِّوايات ٩٦٠، ولكنَّه رضي الله عنه يُخْبِرُ كيف كان النَّبِيُّ ﷺ يُحِيطُهُ بدعائه المبارك، ومن جُملة ذلك ما ذَكَرَهُ في هذه الرِّواية حيث قال: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْحَلَاءَ، فَوَضَعَتْ لَهُ وَضوءًا، قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ فَأُخْبِرَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَفَهِّهُ فِي الدِّينِ." ٩٦١.

ترى الباحثة أنَّ هذه الحادثة انطوت على تَصَرُّفٍ تَطَوُّعِيٍّ جميلٍ قام به هذا الطِّفْلُ الصَّغِيرُ حين سَعَى مُبادِرًا لتجهيزِ وضوءِ النَّبِيِّ ﷺ، فكافأه النَّبِيُّ ﷺ بدعوةٍ كريمةٍ عظيمةٍ، أثَّرت في حياته وأثَّرتُها، وفي هذا كما يبدو للباحثة إرشادٌ للمُربِّين كي يَتَنَبَّهُوا إلى أهمِّيةِ الدُّعاء كأسلوبٍ تَطَوُّعِيٍّ دَعَوِيٍّ رَقِيقٍ في الثَّنَاءِ على ما يقدِّمه الصِّغار من أعمالٍ مهما كانت بسيطةً، فهذا الأسلوب يُقَرِّبُ بين القلوب، ويُشْعِرُ الصِّغار بمدى

٩٥٦ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب فضائل الصحابة، بابُ ذَكَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ج. ٥: ٢٧. رقم الحديث ٣٧٥٦.

٩٥٧ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب العلم، بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي الْكِتَابَ. ج. ١: ٢٦. رقم الحديث ٧٥.

٩٥٨ ابن سعد، أبو عبد الله مُحَمَّدُ بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء. ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. الجزء المتمم لطبقات ابن سعد (الطبقة الخامسة في مَنْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ). تحقيق مُحَمَّدُ بن صامل السلمي. الطائف: مكتبة الصديق. ج. ١٠: ص. ١١٤.

٩٥٩ الذهبي. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦. سير أعلام النبلاء. ج. ٤: ص. ٣٨٠.

٩٦٠ المصدر نفسه. ج. ٤: ص. ٣٨٢.

٩٦١ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الوضوء. بابُ وَضَعِ الْمَاءِ عِنْدَ الْحَلَاءِ. ج. ١: ٤١. رقم الحديث ١٤٣.

الاهتمام بهم، والحب لهم، والحِرْص على تَوْجِيهِهِمْ إلى ما يَنْفَعُهُمْ، ويُدَكِّرُهُمْ بأنَّ كلَّ أمرٍ محمودٍ إنما يَنْبَغُ بِالطَّلَبِ من الله عَزَّ وَجَلَّ، وبِالاستعانة به، فهو سبحانه القادر على كلِّ شيءٍ.

لقد كان لهذه الأذعية الطَّيِّبَةِ المباركة أثرها البالغ على فِكْرٍ وشَخْصِيَّةِ الصَّحَابِيِّ الجليل عبد الله بن عباسٍ حتَّى اسْتَحَقَّ بِجِدَارَةٍ لَقَّبَ تُرْجَمَانَ الْقُرْآنِ، وَخَبِرَ الْأُمَّةَ وَفَقِيهَ الْعَصْرِ^{٩٦٢}.

وَمِنْ مَوَاقِفِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي تَنْبَغُ عَنْ اهْتِمَامٍ وَحِرْصٍ شَدِيدَيْنِ بِتَرْبِيَةِ الصَّغِيرِ، وَرِعَايَتِهِ، وَتَعْلِيمِهِ التَّطَوُّعِ مَا كَانَ مِنْ مَبَادِرَتِهِ الْعَمَلِيَّةِ فِي تَعْلِيمِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ آدَابَ الْإِسْلَامِ وَأَخْلَاقِيَّاتِهِ، حَيْثُ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظُ اللَّهُ بِحُدُودِهِ بُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَفْئَامُ وَجَعَتِ الصُّحُفُ"^{٩٦٣}.

فَتَرَى الْبَاحِثَةَ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ الَّتِي يَرْوِيهَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أُمُورًا يَجْدُرُ التَّوَقُّفُ عِنْدَهَا، وَالتَّعَلُّمُ مِنْهَا:

- فَمَبَادِرَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِتَعْلِيمِ الْغُلَامِ، هِيَ فِي حَدِّ ذَاتِهَا أَسْلُوبٌ تَرْبَوِيٌّ دَعَوِيٌّ عَمَلِيٌّ يُعَلِّمُ

الْمُتَرْبِّيَ الصَّغِيرَ أَنَّ الْمَبَادِرَةَ فِي تَعْلِيمِ الْخَيْرِ، وَنَشْرُ الْعِلْمِ أَمْرٌ حَسَنٌ مَحْمُودٌ. فَإِنَّ الصَّحَابِيَّ

الْجَلِيلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَصِفُ الْمَشْهَدَ يُدَكِّرُ أَنََّّهُ كَانَ صَغِيرًا، وَمَعْلُومٌ كَمَا تَقَدَّمَ

^{٩٦٢} الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قَلْبَانٍ. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦. سير أعلام النبلاء. القاهرة: دار الحديث. ج. ٤. ص. ٣٨٠.

^{٩٦٣} الترمذي. ١٣٩٥هـ. سنن الترمذي. ج. ٤. ص. ٦٦٧. رقم الحديث ٢٥١٦. وهو حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

أَنَّ عُمْرَهُ لَمْ يَتَجَاوَزِ الثَّلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَهُوَ إِذَنْ دَرَسَ لَهُ لِلْاِقْتِدَاءِ
بِالنَّبِيِّ ﷺ.

- وَيَذْكُرُ الصَّحَابِيُّ أَنَّهُمَا كَانَا فِي الطَّرِيقِ، وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ التَّطَوُّعَ لَا يَحْدَهُ مَكَانٌ، وَلَا
زَمَانٌ، وَإِنَّمَا اسْتَحْضَارُ الرَّغْبَةِ فِي الْقِيَامِ بِهِ.

- وَمِبَادَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْتَّعْلِيمِ دَوْمًا سَوَالٍ مِنَ الصَّحَابِيِّ، دَرَسٌ بَلِيغٌ لِلْمُرَبِّينَ أَنْ يَعْتَنِمُوا أَيَّ
فُرْصَةٍ لِلْمِبَادَرَةِ بِتَّعْلِيمِ الصِّغَارِ دَوْمًا اِنْتِظَارَ السُّؤَالِ.

- وَبَيَّنَّ الْعُلَمَاءُ^{٩٦٤} أَنَّ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَصِيَّتَهُ الرَّائِعَةَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْعَقْدِيَّةِ وَالتَّرْبُويَّةِ
لِابْنِ عَبَّاسٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ﷺ رَأَى أَهْلًا لِلْوَصِيَّةِ مَعَ صِعَرِ سِنِّهِ، وَهَذَا يُبَيِّنُ احْتِرَامَ النَّبِيِّ
ﷺ لِشَخْصِيَّةِ هَذَا الْغُلَامِ الصَّغِيرِ، وَهُوَ دَرَسٌ بَلِيغٌ لِلْمُرَبِّينَ فِي احْتِرَامِ الصِّغَارِ.

- إِنَّ أَوْلَى الْأُمُورِ بِالْتَّعْلِيمِ تَعْلِيمُ مَا يَحْفَظُ عَلَى الصِّغَارِ دِينَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، وَتَقْوِيَةَ الصِّلَةِ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ صَدَّقَ مَنْ قَالَ: " إِذَا تَمَكَّنَ دِينَ اللَّهِ وَأَحْكَامُهُ فِي قُلُوبِ
الصِّبْيَانِ ثَبَتَ ذَلِكَ بَعْدَ بُلُوغِهِمْ، وَزَادَ فَهْمُهُمْ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِمْ مَا يَحَاوِلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ"^{٩٦٥}.

- تَبَرَّزَ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ كِفَايَةُ الْمِبَادَرَةِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُرَبِّينَ تَوْجِيهَ عِنَايَةِ الصِّغَارِ لَهَا، وَكِفَايَةُ
التَّعْلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ، وَكِفَايَةُ الْمَفَاهِيمِ الْمَعْرِفِيَّةِ وَالْعَقِيدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي وَضَّحَتْهَا وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ
لِتَتَرَسَّخَ فِي ذَهْنِ الْمُتَرَبِّئِ الصَّغِيرِ، فَلَا تَتَطَرَّقَ لَهُ الشُّكُوكُ فِي عَقِيدَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَكِفَايَةُ
إِدَارَةِ الدَّاتِ حِينَ يَشْعُرُ بِالْعَجْزِ، فَلَا يَبْتَأَسُ، وَإِنَّمَا يَلْتَجِيءُ لِلَّهِ.

^{٩٦٤} ابن دقيق العيد. ٢٠٠٣م. شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية. ص. ٧٦.

^{٩٦٥} العدوي، أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصعدي. ١٣١٣هـ - ١٩٩٤م. حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني. تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي. بيروت: دار الفكر. ج. ١. ص. ٣٤.

ومَّا يُوضِّحُ عنايةَ النَّبِيِّ ﷺ بالصِّغارِ، واحترامه لهم، وتقديره إيَّاهم، وبيان قبول أعمالهم من الطَّاعات والتَّطوُّع، حديثُ أنسٍ بن مالكٍ رضي الله عنه حين قال: " صَلَّيْتُ أَنَا وَبَيْتِي، فِي بَيْتِنَا حَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ حَلَفْنَا "٩٦٦، إذ ما كان النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْمَحَ لِلصَّغِيرَيْنِ بِالصَّلَاةِ حَلْفَهُ لَوْ كَانَ هَذَا الْفِعْلُ غَيْرَ مَقْبُولٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ صَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ صَلَاةَ الْجَنَازَةِ وَكَانَ حِينَهَا صَغِيرًا دُونَ الْبُلُوغِ ٩٦٧، حَيْثُ قَالَ: " أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْرًا، فَقَالُوا: هَذَا دُفِنَ - أَوْ دُفِنَتْ - الْبَارِحَةَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَصَفَّنا حَلْفَهُ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا» ٩٦٨، وَفِي رِوَايَةٍ: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مَرَّ بِقَبْرِ قَدْ دُفِنَ لَيْلًا، فَقَالَ: «مَتَى دُفِنَ هَذَا؟» قَالُوا: الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَفَلَا آذَنْتُمُونِي؟» قَالُوا: دَفَنَاهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ فَكْرَهْنَا أَنْ نُوفِظَكَ، فَقَامَ، فَصَفَّنا حَلْفَهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَنَا فِيهِمْ فَصَلَّى عَلَيْهِ "٩٦٩، وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ:

- "تدريب الصَّبيِّانِ على شُرَائعِ الإسلامِ، وحضورهم مَعَ الجَماعاتِ لِيَسْتَأْنِسُوا إِلَيْهَا، وَتَكُونَ لَهُمْ عَادَةً إِذَا لَزِمَتْهُمْ وَإِذَا نُدِبُوا إِلَى صَلَاةِ الْجَنَازَةِ لِيَتَدَرَّبُوا إِلَيْهَا، وَهِيَ فَرَضٌ كِفَايَةٌ، فَفَرَضَ الْعَيْنُ أُخْرَى "٩٧٠،
- ومَشروعِيَّةُ صَلَاةِ الصَّبيِّانِ على الموتى، وَأَنَّهُمْ يَقِفُونَ مَعَ الرِّجالِ بِحَيْثُ يَصْفُونَ مَعَهُمْ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُمْ ٩٧١.

٩٦٦ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب: المرأة وحدها تكون صفا. ج. ١: ١٤٦. رقم الحديث ٧٢٧.

٩٦٧ العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الجنائز. باب: صفوف الصَّبيِّانِ مَعَ الرِّجالِ عَلَى الجَنائِزِ. ج. ٨. ص. ١٢٠.

٩٦٨ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الجنائز. باب: صَلَاةُ الصَّبيِّانِ مَعَ النَّاسِ عَلَى الجَنائِزِ. ج. ٨٨: ٢. رقم الحديث ١٣٢٦.

٩٦٩ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الجنائز. باب: صفوف الصَّبيِّانِ مَعَ الرِّجالِ فِي الجَنائِزِ. ج. ٨٨: ٢. رقم الحديث ١٣٢١.

٩٧٠ العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الجنائز. باب: صفوف الصَّبيِّانِ مَعَ الرِّجالِ فِي الجَنائِزِ. ج. ٨. ص. ١٢١.

٩٧١ المصدر نفسه، كتاب الجنائز. باب: صَلَاةُ الصَّبيِّانِ مَعَ النَّاسِ عَلَى الجَنائِزِ. ج. ٨. ص. ١٣١.

- وذكر العلماء أنه يُكتب للصَّبي أجر الصَّلَاة وإن لم تكن واجبةً عليه، شأنها في ذلك

شأن غيرها من العبادات المخصَّصة^{٩٧٢}.

ويُستحبُّ تدريب الصِّبيان على الصِّيام لما ورد عن الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ، قَالَتْ: "أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ، الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ: «مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيَتِمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلْيَتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ» فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَتَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ"^{٩٧٣}، قال العلماء: "في هذا الحديث مشروعيةُ تمرين الصِّبيان على الطَّاعات، وتعويدهم العبادات، ولكنهم ليسوا مكلفين"^{٩٧٤}.

وكذلك في عبادة الحجِّ، فما يُؤدِّيهِ الصَّغير من عبادة الحجِّ يُقبل منه على أنه تطوُّعٌ، ولا يُجزئُه عن حجَّة الإسلام^{٩٧٥}، حيث ورد عن السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قوله: "حَجَّ بِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ"^{٩٧٦}، وما جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: رَفَعَتْ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلْهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ"^{٩٧٧}، فللصَّبي أجر التَّطَوُّع دون أن يُتقَص ذلك أجر من تطوُّع فحجَّ به، وكان السَّلَفُ يحجُّون بالصِّبيان. وذكر العلماء أنَّ هذه الأحاديث المشهورة وغيرها دليلٌ على أنَّ ما

^{٩٧٢} ابن قدامة المقدسي. د. ت. المغني. ج. ٩. ص. ١٤.

^{٩٧٣} مسلم. د. ت. صحيح مسلم. كتاب الصِّيام. باب من أكل في عاشوراء فليُكف بقية يومه. ج. ٢: ٧٩٨. رقم الحديث ١١٣٦.

^{٩٧٤} النووي. ١٣٩٢ هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج. ٨. ص. ١٤.

^{٩٧٥} النووي. د. ت. المجموع شرح المذهب (مع تكملة الشبكي والمطيعي). كتاب الحجِّ. ج. ٧. ص. ٤٢.

^{٩٧٦} البخاري. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب جزاء الصيد. باب حج الصِّبيان. ج. ٣: ١٨. رقم الحديث ١٨٥٨.

^{٩٧٧} مسلم. د. ت. صحيح مسلم. كتاب الحجِّ. باب صحَّة حجِّ الصَّبيِّ وأجر من حجَّ به. ج. ٢: ٩٧٤. رقم الحديث ١٣٣٦.

يَعْمَلُهُ الصَّبِيُّ مِنَ الطَّاعَاتِ كَالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ وَالاعْتِكَافِ وَالْحَجِّ وَالْقِرَاءَةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ
الْقُرْبَاتِ، فَإِنَّ ثَوَابَهَا يُكْتَبُ لَهُ، وَلَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ مَعْصِيَةٌ^{٩٧٨}.

وتؤكد الدراسة أن التقدير المعنوي من الكبار لما يقوم به الصغار من أمور طيبة، خاصة تطوعهم فيما
يتعلق بالعبادات، له أثر بالغ في التزام الطفل وحرصه على أدائها في الكبر، كما أنه من خلال التطبيق
العملي يتعرف الصغير كيفية أداء هذه العبادات، ويتشرب حبها في قلبه، ويتعلم أن التطوع في الطاعة فيه
لذة، وإحساس بالسكينة والطمأنينة، وله به أجر عظيم. أما اللذة فلأن الصغار يحبون عادة محاكاة الكبار،
والتشبه بهم، وتقليد ما يفعلون، فيحصل لهم الانبساط والفرح حين ينجحون في ذلك، خاصة إذا سمعوا
تشجيعاً وثناءً من الكبار، فتسكن نفوسهم وتطمئن إلى جميل صنيعهم. وأما الأجر فيحصل لهم من جهتين:
مكافأة الأهل لهم بعبء ماء، كهديّة، أو جائزة معنوية، أو مادية، وهذه من الأساليب التربوية الناجعة،
بالإضافة إلى إشعارهم بما سينالونه من الأجر والثواب من رب العباد كما أخبرت الأحاديث النبوية الشريفة،
وبهذا يقبلون على مثل هذه العبادات، وغيرها من الطاعات برغبة وشغف، وحرص عندما يكبرون، فلا
تنقل عليهم لأنهم تعودوها منذ الصغر.

إن الدراسة وهي تعرض حرص النبي ﷺ على إرشاد المرّبين إلى تعليم الصغار فرائض الدين من
صلاة وصيام وحج رغم عدم تكليفهم شرعاً، وعدم إدراكهم وفهمهم الكامل لهذه العبادات العظيمة لتؤكد
ما ذهب إليه أهل فن التربية من أن الكفايات مهارات مكتسبة وليست أمراً فطرياً^{٩٧٩}، إنما الأمر الفطري
هو استعداد الصغير للاستجابة، والتعلم، والتطوير، والنمو، فالله خلق الإنسان وفيه بذور كامنة من

^{٩٧٨} النووي. د. ت. المجموع شرح المذهب (مع تكملة الشبكي والمطيعي). كتاب الحج. ج. ٧. ص. ٤٢.

^{٩٧٩} وزارة التربية التونسية، البرنامج العربي لتطوير مناهج التدريس وتوظيف تقنيات المعلومات والاتصال في التعليم والتعلم. ٢٠١٣م. وحدة
تدريبية (تكويبية) في مجال كفايات القرن الحادي والعشرين. ص. ٧.

الاستعداد للتعلّم، ومن ثمّ اتّباع الخير أو الشرّ، وتحتاج فقط من يُوقظها وبشّحدها ويوجّهها^{٩٨٠}. وهذا ما يتّضح من خلال الأحاديث التي تقدّم ذكرها وغيرها، فالله سبحانه وتعالى يقول في آيات الكتاب العزيز: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾^{٩٨١}، ففي أحد وجوه تفسيرها أنّ الإنسان يُزكّي نفسه بتطهيرها من الذنوب بفعل الطّاعة، ومُجانبة المغصية^{٩٨٢}، ليس ذلك فحسب، بل يبذل استطاعته^{٩٨٣} فيُنمّيها بالعلم والعمل^{٩٨٤}، فالتركيبية أصلها النّمو والزيادة، واضطّناع المرء للمعروف، والمبادرة إلى أعمال البرّ ترَفَع من شأن المرء^{٩٨٥}، وهذا يعني استمراريّة التعلّم، واكتساب المهارات، وزيادة الخبرات ليبلغ مَبْلَغ التّركية عند الله، وقد ورد في صحيح البخاري: "وإنّما العلم بالتعلّم"^{٩٨٦}، فكلمًا حرص المتعلّم على التعلّم والممارسة ارتقى، وازدادت لديه الكفاءة في أداء المهارة التي ازداد علمه بشأنها.

• وأمّا في جانب المعاملات فإنّ تعليم التّطوُّع للصّغار برز في أكثر من موقِفٍ عمليّ في حياة النّبي ﷺ،

فهو القدوة الأنموذج، والأسوة الحسنة، من ذلك على سبيل المثال:

- إلقاء التّحيّة على الصّبيان:

جاء عن الصّحابيّ الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه: " أنّهُ مرَّ على صبيّان فسلمَ عليّهم»،

وقال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ»^{٩٨٧}، أي كان النّبي ﷺ إذا مرَّ على صبيّان في الطّريق ألقي عليهم

^{٩٨٠} حوى. ١٤٢٤هـ. الأساس في التفسير. ج. ١١. ص. ٦٥٤٩.

^{٩٨١} القرآن. الشمس ٩:٩١

^{٩٨٢} الطبري. ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ٢٤. ص. ٤٤٤. البغوي. ١٤٢٠هـ. تفسير البغوي - إحياء التراث.

ج. ٥٠. ص. ٢٦٠. الرازي. ١٤٢٠هـ. مفاتيح الغيب. ج. ٣١. ص. ١٧٧.

^{٩٨٣} ابن عاشور. ١٩٨٤. التحرير والتنوير. ج. ٣٠. ص. ٢٨٧.

^{٩٨٤} البيضاوي. ١٤١٨هـ. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج. ٥. ص. ٣١٥.

^{٩٨٥} الخطيب. د.ت. التفسير القرآني للقرآن. ج. ٢٠. ص. ٧٧. الشوكاني. ١٤١٤هـ. فتح القدير. ج. ٥. ص. ٥٤٧.

^{٩٨٦} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب العلم. باب العلم قبّل القول والعمل. ج. ٢٥:١.

^{٩٨٧} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الاستئذان. باب التسليم على الصّبيان. ج. ٥٥:٨. رقم الحديث ٦٢٤٧.

التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَ، وهذا من عَظِيمِ حُلُقِهِ ﷺ، وتَوَاضَعَهُ واحترامه لِلآخَرِينَ وَإِنْ كَانُوا صِبْيَةً صِغَارًا، قَالَ صَاحِبُ عُمْدَةِ الْقَارِي شَرَحَ صَحِيحَ الْبَخَارِيِّ: " وَسَلَامُهُ ﷺ عَلَى الصَّبِيَّانِ مِنْ حُلُقِهِ الْعَظِيمِ، وَأَدَبِهِ الشَّرِيفِ، وَفِيهِ تَدْرِيْبٌ لَهُمْ عَلَى تَعْلِيمِ السُّنَنِ، وَرِيَاضَةٌ لَهُمْ عَلَى آدَابِ الشَّرِيعَةِ، لِيَبْلُغُوا مُتَأَدِّبِينَ بِآدَابِهَا"^{٩٨٨}. فَالِقَاءُ التَّحِيَّةِ فِيهِ مِنَ الْإِحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ مَا يَقَعُ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي مَوْقِعًا حَسَنًا يُشْعِرُهُ بِالْإِهْتِمَامِ وَالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَالْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ"^{٩٨٩}.

وَمِبَادَرَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالِقَاءِ التَّحِيَّةِ عَلَى الصَّبِيَّانِ، وَهُوَ نَبِيُّ اللَّهِ الْمُكْرَمِ، وَقَائِدِ الْأُمَّةِ الْمُلْهَمِ، وَمُعَلِّمِ الْبَشَرِيَّةِ الْأَكْرَمِ، فِيهِ دَرَسٌ بَلِيغٌ فِي التَّوَاضَعِ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. إِنَّ تَعْلِيمَ الصِّغَارِ آدَابِ الطَّرِيقِ، وَأَوَّلُ تِلْكَ الْآدَابِ الْإِقَاءِ السَّلَامِ، فِيهِ إِشْعَارٌ لِلآخَرِ بِالْأَمَانِ، وَهُوَ أَوَّلُ خَطْوَةٍ نَحْوِ الْحُبَّةِ وَالْمَوْدَةِ الَّتِي تُعَزِّزُ الْأُخُوَّةَ الْإِيمَانِيَّةَ، وَتُوصِلُ لِدُخُولِ الْجَنَانِ، حَيْثُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ قَوْلُهُ ﷺ: " لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْلَا أَذْكَكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"^{٩٩٠}. فَالنَّبِيُّ ﷺ فِي سَلَامِهِ عَلَى الصَّبِيَّانِ يَدْهَمُ عَلَى بَدَايَةِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ ﷺ بِأَمْتِهِ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَهُوَ يَحْكِي عَنْ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ: "... كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفَشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسَ نِيَامًا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"^{٩٩١}، فَكَأَنَّ أَوَّلَى خَطَوَاتِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ تَبْدَأُ بِالِقَاءِ تَحِيَّةِ السَّلَامِ، وَهُوَ كَمَا نَصَّفَهُ الْبَاحِثَةُ أَمْرٌ تَطَوُّعٌ يَسِيرٌ يَسْتِطِيعُهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَلِذَلِكَ تُصَدَّرُ هَذَا الْأَمْرُ الْحَدِيثُ

^{٩٨٨} العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الاستئذان. باب التسليم على الصبيان. ج. ٢٢. ص. ٢٤٣.

^{٩٨٩} بكار، عبد الكريم. ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م. الحياة الأسرية. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة. ص. ٥٧.

^{٩٩٠} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمن من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها. ج. ١: ٧٤. رقم الحديث ٥٤.

^{٩٩١} الترمذي. ١٣٩٥هـ. سنن الترمذي. ج. ٤. ص. ٦٥٢. رقم الحديث ٢٤٨٥. وهو حديث صحيح.

الشَّريف، وطَبَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَمَلِيًّا حِينَ أَلْقَى التَّحِيَّةَ عَلَى الصِّغَارِ وَهُمْ فِي قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، تَعْلِيمًا لَهُمْ وَإِرْشَادًا، وَتَهْدِيًّا لِأَخْلَاقِهِمْ وَتَأْدِيبًا.

- ولأنَّه ﷺ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ فَقَدْ ضَرَبَ أَرْوَعَ الْأَمْثَلَةِ فِي التَّرَاحِمِ الْإِنْسَانِي كَذَلِكَ، حَيْثُ رَوَى الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أَنْ غَلَامًا لِيَهُودَ، كَانَ يَحْدُثُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرَضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَالَ: «أَسْلِمَ» فَأَسْلَمَ^{٩٩٢}، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: " فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»^{٩٩٣}. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّطَوُّعَ بِالْخَيْرِ لَا يَقِفُ عِنْدَ عَتَبَةِ اخْتِلَافِ الدِّينِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ مَا دُونَ ذَلِكَ، أَوْ عِنْدَ تَبَايُنِ الْفِكْرِ وَوُجُوهِاتِ النَّظَرِ، كَمَا يَعْتَقِدُ الَّذِينَ لَمْ يَفْقَهُوا عَظَمَةَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَسْتَبْصِرُوا مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ دَعْوَةٍ صَرِيحَةٍ لِلرَّحْمَةِ وَبَدَلِ الْخَيْرِ لِلْآخِرِينَ مَا دَامُوا غَيْرَ مُقَاتِلِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَلِكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^{٩٩٤}، فَهَذَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ لَمْ يَمْنَعَهُ عِظَمُ قَدْرِهِ وَرِفْعَةُ مَكَانَتِهِ، وَهُوَ أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ أَنْ يَعُودَ مَنْ هُوَ عَلَى غَيْرِ دِينِهِ، وَلَمْ يَكُنْ عَظِيمَ قَوْمِهِ، بَلْ كَانَ غَلَامًا يَهُودِيًّا بَسِيطًا، فَأَكْرَمَهُ بِالزِّيَارَةِ، وَدَعَاهُ إِلَى دِينِ الْحَقِّ بِلَطِيفِ الْعِبَارَةِ.

^{٩٩٢} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب المرضى. باب عيادة المشرك. ج ٧: ١١٧. رقم الحديث ٥٦٥٧.

^{٩٩٣} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الجنائز. باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلى عليه، وهل يُغرض على الصبي الإسلام.

ج ١: ٤٢. رقم الحديث ١٣٥٦.

^{٩٩٤} القرآن. الممتحنة ٦٠: ٨.

وكم من كلمة طيبة، وفعلٍ يسيرٍ يشرح الله به صدر إنسانٍ فيدخل في قلبه نور الإسلام، فتكون نجاته من النار. وقد سبق القرآن الكريم إلى تأكيد هذا المعنى حين امتدح المؤمنين الذين يُطعمون الطعام مسكيناً ويَتيماً وأسيراً ابتغاء مرضاة الله دون التفریق بينهم على أساس الدين أو العرق أو الجنس، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^{٩٩٥} إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا^{٩٩٥}. فإطعام المسكين واليتيم على التطوع^{٩٩٦}، وأمّا الأسارى فقد كانوا في ذاك الزمان من المشركين^{٩٩٧}، ولم يُستثنوا من الإطعام من صدقة التطوع^{٩٩٨}، وقيل أيضاً أن لفظ (أسيراً) ينطبق على الأسير المشرك، والأسير المسلم يومئذ^{٩٩٩}، وعلى من كانت هذه صفته إلى قيام الساعة^{١٠٠٠}، وأجاز عامة علماء المسلمين الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام^{١٠٠١}، وفي هذا تأكيدٌ لخيرية هذا الدين الذي هو رحمة الله للعالمين أجمعين.

إنَّ اهتمام النَّبيِّ ﷺ بتنشئة الصِّغار تنشئةً إسلاميةً، وعنايته بتعليمهم القيم التَّربويَّة تجلَّت بوضوح أيضاً في رعايته لصِّغار السِّبِّ من الصَّحابة، من أمثال عليِّ بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وزيد بن حارثة، وغيرهم من الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فكانت حياة كلِّ واحدٍ منهم فيما بعد صَفحةً مشرقةً في تاريخ أمة الإسلام.

^{٩٩٥} القرآن. الإنسان ٧٦: ٨-٩.

^{٩٩٦} الشوكاني. ١٤١٤هـ. فتح القدير. ج. ٥. ص. ٤١٩.

^{٩٩٧} القشيري. د. ت. لطائف الإشارات = تفسير القشيري. ج. ٣. ص. ٦٦٣.

^{٩٩٨} القرطبي. ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). ج. ١٩. ص. ١٢٩.

^{٩٩٩} المصدر نفسه.

^{١٠٠٠} الطبري. ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ٢٣. ص. ٥٤٥.

^{١٠٠١} الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج. ٤. ص. ٦٦٨.

فهذا عليّ رضي الله عنه قد ضمّه النبي ﷺ إليه صغيراً، تطوعاً منه ﷺ وإكراماً لعمّه الذي لم يأل جهداً في العناية به بعد وفاة جدّه عبد المطلب، وكان عمره ﷺ آنذاك ثمان سنين ١٠٠٢، وقد كان أبو طالبٍ قليل المال كثير العيال، فبادر النبي ﷺ بالتخفيف عنه ليكفّيه مؤونة رعاية أحد الأبناء، فضمّ إليه عليّاً، فعاش في كنفه، وترى على يديه، وتخلّق بأخلاقه الشريفة حتى وقت البعثة بالنبوة، فكان عليّ أول من استجاب لدعوته من الصّبيان، حيث ورد في السيرة الشريفة أنّ عليّاً والزبير أسلما وهما ابنا ثمان سنين ١٠٠٣، وقيل أنّ عليّاً أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ١٠٠٤.

ومهما يكن من أمرٍ فإنّ التاريخ سجّل أنّ عليّاً رضي الله عنه كان أول الصّغار إسلاماً قبل أن تتخطى دعوة الحقّ حدود البيت النبوي الشريف ١٠٠٥، وقد بادره النبي ﷺ فدعاه إلى الإسلام رغم صغر سنّه، وفي هذا ملمحٌ تربويّ مهمٌ يدلّ على احترام مكانة الصّغير والاهتمام به، واحترام عقله وملاكاته وشخصيته، ممّا يعزّز لديه مهارة اتخاذ القرار والإحساس بالمسؤولية.

وليتأمل المرءون هذا المشهد الذي يحكي قصة إسلام عليّ رضي الله عنه حيث ذكر الصّلابي ١٠٠٦ رواية ابن إسحاقٍ من أنّ عليّاً جاء إلى النبي ﷺ، فوجده وزوجته السيّدة خديجة رضي الله عنها يصليان فقال عليّ: ما هذا يا محمّد؟ فقال النبي ﷺ: دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رُسله، فأدعوك إلى

١٠٠٢ الصّلابي، عليّ محمّد محمّد. ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره. الإمارات- الشارقة: مكتبة الصّحابة. ج ١. ص. ٣٣.

١٠٠٣ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ١٤١٥هـ-١٩٩٤م. أسد الغابة في معرفة الصّحابة. تحقيق عليّ محمّد معوض وعادل أحمد عبد الموجود. د. م. دار الكتب العلمية. ج. ٤. ص. ٨٧.

١٠٠٤ المصدر نفسه.

١٠٠٥ الصّلابي. ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره. ج ١. ص. ٤٤.

١٠٠٦ المصدر نفسه.

الله وحده، وإلى عبادته، وكُفِرَ باللات والعزى، فقال له عليٌّ: هذا أمرٌ لم أسمع به قبل اليوم، فلستُ بقاضٍ
أمرًا حتى أحدث أبا طالبٍ، فكَّرِه رسول الله ﷺ أن يُفشي عليه سرَّه قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا
عليٌّ إذا لم تُسلم فآتكم، فمكث عليٌّ تلك الليلة، ثم إنَّ الله أوقع في قلب عليٍّ الإسلام، فأصبح غادياً إلى
رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ما عرضت عليَّ يا مُحَمَّد؟ فقال له رسول الله ﷺ: تشهد ألا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد، ففعل عليٌّ وأسلم، ومكث عليٌّ يأتيه على
خوفٍ من أبي طالبٍ، وكنتم عليٍّ إسلامه ولم يُظهر به.

إنَّ إحصان النبي ﷺ إلى ابن عمِّه عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وتوَلَّيه رعايته، وتربيته أسفر
عن إيجاد شخصيَّة فذة، تشرَّبت مكارم الأخلاق، كيف لا وقد عاش في بيت النبي ﷺ يسمع ويرى،
وينهل من عظيم صفاته، وتميَّزت بالشجاعة والبطولة، فكان أن تطوَّع رضي الله عنه بالتضحية بنفسه يوم
هجرة النبي ﷺ، فبات في فراشه دونما خوفٍ، أو تردُّدٍ في قبول هذا العمل الخطير الذي قد يدفع ثمنه حياته
رضي الله عنه، لكنَّها التَّربية الحَقَّة المنهجية التي تَرَبَّى عليها في كنف النبي ﷺ، فكانت الثمرة حُبًّا غامراً
للدعوة ولصاحبها ﷺ، واستعداداً مُذهلاً للتضحية، والإقدام على البذل مهما كان الثمن غالياً.

إنَّ ما ينبغي التأكيد عليه إذا ما أُريد لمجتمع العَد أن يصطبغ أفرادُه بصبغة حُبِّ التطوُّع بالعطاء
والبذل في سبيل الدعوة ونصرة الحقِّ، وحُبِّ الشعور بالانتماء لكلِّ ما هو خير، ضرورة أن يتربَّى النشء
على هذه القيم منذ الصِّغر تربيةً إيمانيةً وجدانيةً سلوكيةً، كالتَّربية التي تلقَّاهَا عليٌّ رضي الله عنه من لدن
النبي ﷺ، وتلقَّاهَا الصحابة رضوان الله عليهم، وحينئذٍ سثُمر تلك التَّربية الفريدة أفراداً صالحين مُصلحين،
يتمتَّعون بحسِّ المسؤولية تجاه عقيدتهم، وأهلهم، ومجتمعهم، وأوطانهم بعيداً عن الاستغراق في حُبِّ الذات،
أو السَّير خلف الأهواء والإغراءات التي تقود إلى الدمار، وتُنذر المجتمع بالانهيار.

لقد حرص النَّبِيُّ ﷺ على العناية بالصِّغار، لا سيَّما الأيتام، فَتَجَلَّتْ رحمته ﷺ في تَوْجِيهاته السَّامية لإعالة اليَتَامَى، فَحَثَّ المسلمين على كفالتهم، ورعايتهم، والقيام بشؤونهم ومصالحهم، ورغبتهم في ذلك أَمَا ترغيبٍ، لينالوا شَرَفَ مُرَافَقته في جنَّات النَّعيم، وهذا هدف كلِّ مؤمنٍ، حيث قال ﷺ: " أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا" وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا^{١٠٠٧}، فأبي جازرة يَرغَبُ بها المسلم، وَيَسْعَى لِنَيْلِهَا أكبر من مرافقة النَّبِيِّ ﷺ في الجنة^{١٠٠٨}! والوسيلة للفوز بها هي كفالة يَتِيمٍ.

ولكيلا يَظُنُّ المرء أنَّ الكفالة مقصورةٌ على يَتِيمٍ يَحُصُّه، أي من أهله وأقاربه، دَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ هذا الإبهام في روايةٍ أخرى حين قال: " كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِعِزِّهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ" وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى^{١٠٠٩}، فكفالة أي يَتِيمٍ، سواء كان قريباً للكافل، أو أجنبيّاً عنه، سيفوز الكافل بدخول الجنة، وفوق ذلك بقُرب المنزلة من النَّبِيِّ ﷺ فيها، فلا منزلة في الآخرة أفضل من هذه، ولهذا أشار النَّبِيُّ ﷺ بأصبعيه السَّبابة والوسطى كنايةً عن القُرب، ومبالغةً في الحثِّ^{١٠١٠}. ولَعَلَّه من اللطيف إيراد ما دَكَرَه بعض العلماء من تفسيرٍ لهذا التَّشبيه حيث قالوا: " لَعَلَّ الْحِكْمَةَ فِي كَوْنِ كَافِلِ الْيَتِيمِ يُشْبِهُهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، أَوْ شَبَّهَتْ مَنزِلته فِي الْجَنَّةِ بِالقُرب من النَّبِيِّ، أَوْ مَنزلة النَّبِيِّ، لَكُونِ النَّبِيِّ شَأْنُهُ أَنْ يُبْعَثَ إِلَى قَوْمٍ لَا يَعْقِلُونَ أَمْرَ

^{١٠٠٧} البخاري. صحيح البخاري. ١٤٢٢هـ. كتاب الطلاق. باب العان. ج. ٥٣:٧. رقم الحديث ٥٣٠٤.

^{١٠٠٨} ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. ٢٠٠٣م. شرح صحيح البخاري لابن بطال. تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. الطبعة الثانية. الرياض - السعودية: مكتبة الرشد. ج. ٩. ص. ٢١٧. ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ١٠. ص. ٤٣٦.

^{١٠٠٩} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين. ج. ٤:٢٢٨٧. رقم الحديث ٢٩٨٣.

^{١٠١٠} ابن بطال. ٢٠٠٣م. شرح صحيح البخاري لابن بطال. ج. ٩. ص. ٢١٧. العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب فضل مَنْ يُعُولُ يَتِيمًا. ج. ٢٢. ص. ١٠٤.

دينهم، فيكون كافلاً لهم، ومُعَلِّماً، ومُرشِداً، وكذلك كافل اليتيم، يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه، بل ولا دُنياه، ويُرشده ويُعلِّمه، ويُحسِّنُ أدبه، فَظَهَرَ مناسبة ذلك "١١١".

يَتَّضِحُ من نَصِّ هذا الحديث، ومن شُرُوحيهِ في كُتُبِ الحديث أنَّ كفالة اليتيم لا تقتصر على الإنفاق عليه في أمور الحياة الضَّرورية من مَأْكَلٍ، ومَشْرَبٍ، ومَلْبَسٍ، ومَسْكَنِ، بل تَتَعَدَّى ذلك إلى العناية به تَعْلِيماً، وتَأديباً، وتربيةً نَفْسِيَّةً وأَخْلَاقِيَّةً، وهذه لا تَتِمُّ على أفضل ما تكون إلا بالمعاشرَةِ الطَّيِّبَةِ والمصاحبة، لِتَتَعَلَّمَ اليتيم عن كُنْهِ بالقُدوةِ الحَسَنَةِ كُلِّ تلك الفضائل، ولا شكَّ أنَّ من الفضائل تَعْلِيمَ التَّطَوُّعِ في العَطَاءِ من خِلالِ المواقِفِ الحياتِيَّةِ، وربَّما لذلك - كما ترى الباحثة - استعمل النَّبِيُّ ﷺ صيغة اسم الفاعل "كافل" التي تُفيد فيما تُفيد الاستمرارية^{١١٢} في الرِّعاية والعطاء، فالكافل في اللُّغة هو الضامن^{١١٣}. وحينما حَكَى القرآن الكريم عن قِصَّةِ ولادة السَّيِّدةِ مريمَ عليها السَّلَامُ، ذَكَرَ كفالة زَكَرِيَّا عليه السَّلَامُ لها في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...﴾^{١١٤}، أي "ضَمَّنَهَا إِيَّاهُ حَتَّى تَكْفُلَ بِرعايتها، وَمَنْ قَرَأ: وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا، فالمعنى ضَمِنَ القيامَ بِأمرِها ورعايتها"^{١١٥}، فينبغي على كافل اليتيم أن يَحْرُصَ على رعايته من وجوه الحياة كَافَّةً: المادِّيَّةِ، وغير المادِّيَّةِ.

ويُشْرِحُ الصَّحَابِيُّ الجليل أنسُ بن مالكٍ رضي الله عنه كيف بدأ حياته وهو لم يَتَجَاوَزِ العاشرة من عُمره في خِدمة النَّبِيِّ ﷺ، فَخَدَمَهُ عَشْرَ سِنِينَ كانت من أَجَلٍّ وأفضل سنوات عُمره رضي الله عنه، حيث

^{١١١} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ١٠. ص. ٤٣٧.

^{١١٢} السامرائي. ٢٠٠٧م. معاني الأبنية في اللُّغة العربية. ص. ٤٥.

^{١١٣} ابن منظور، مُحمَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين. ١٤١٤هـ. لسان العرب. الطبعة الثَّالِثَةُ. بيروت: دار صادر. فصل الكاف. ج. ١١. ص. ٥٩٠.

^{١١٤} القرآن. آل عمران ٣: ٣٧.

^{١١٥} ابن منظور. ١٤١٤هـ. لسان العرب. فصل الكاف. ج. ١١. ص. ٥٩٠.

قال في حديثٍ طويلٍ: " أَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لِأَيِّ طَلْحَةَ: «الْتِمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أُخْرِجَ إِلَى حَيْبِرَ» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِي، وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الحُلْمَ، فَكُنْتُ أُخْدِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَعَلْبَةِ الرِّجَالِ»، ثُمَّ قَدِمْنَا حَيْبَرَ فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الحِصْنَ، ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيْبِيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عُرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ، حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطْعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذِنَ مَنْ حَوْلَكَ». فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى المَدِينَةِ قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ، فَمِسْرْنَا حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى المَدِينَةِ نَظَرَ إِلَى أَحَدٍ فَقَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» ثُمَّ نَظَرَ إِلَى المَدِينَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْرَمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدْبِهِمْ وَصَاعِيهِمْ»^{١٠١٦}، وقوله رَاهَقْتُ الحُلْمَ أي قَارَبْتُ البلوغَ^{١٠١٧}.

وبالتأمل في هذا الحديث تُوضِحُ الدِّرَاسَةُ كَمَ حَفِظَ هَذَا الغلامُ الصَّغِيرُ مِنْ تَفَاصِيلِ عَاشِهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَعَاها، وَتَقَلَّها لِلأُمَّةِ لَتَتَعَلَّمَ سِيرَةَ نَبِيِّهَا ﷺ، وَكَيْفَ أَنَّ ذَهْنَ الصَّبِيِّ فِي هَذِهِ السِّنِّ يَكُونُ مُتَوَقِّدًا وَنَبِيهَا، إِذَا مَا صَادَفَ حَادِثَةً اسْتَوْعَبَهَا، وَتَأَثَّرَ بِهَا، وَاهْتَمَّ لَهَا، وَقَلَّدَ مَا رَأَى، فَتُسْهِمُ فِي تَكْوِينِ شَخْصِيَّتِهِ، وَتَكُونُ هَذِهِ الحِوَادِثُ فِيمَا بَعْدَ ذِكْرِيَاتٍ يَأْتِسُّ بِهَا إِنْ كَانَتْ نَافِعَةً حَيَّرَةً. وَلِذَا تَرَى البَاحِثَةَ ضَرُورَةَ إِدْرَاجِ مَفْهُومِ النَّطْوَعِ ضِمْنَ الأُولَوِيَّاتِ الَّتِي يَتَعَلَّمُهَا الصَّبِيُّ قَبْلَ البُلُوغِ، خَاصَّةً لِمَنْ وَهَبَهُ اللَّهُ حِدَّةَ ذِكَاءٍ، وَدِقَّةَ

^{١٠١٦} البخاري. صحيح البخاري. ١٤٢٢هـ. كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة. ج. ٣٦:٤. رقم الحديث ٢٨٩٣.

^{١٠١٧} المصدر نفسه.

فَهُمْ، لَأَنَّهُ مِنْ خِلَالِ التَّطَوُّعِ سَيَكْتَسِبُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَتَجَدَّرُ فِي نَفْسِهِ مِنْذِ الصِّغَرِ، فَتَنْفَعَهُ فِي الْكِبَرِ مِثْلَ: تَحْمُلِ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَالتَّوَاضُّعِ فِي خِدْمَةِ الْآخَرِ، وَاحْتِرَامِ الْكَبِيرِ، وَالكَرَمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَرِيمِ الْأَخْلَاقِ، وَهَذِهِ مِنَ الْكِفَايَاتِ الَّتِي يَسْعَى الْمَرْبُوتُونَ إِلَى إِكْسَابِهَا لِلْمَتَرَبِّينِ الصِّغَارِ فِي الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ خِلَالِ الْبَرَامِجِ التَّرْبُويَّةِ الْمُنَوَّعَةِ، لِمَا لَهَا مِنْ أَهْمِيَّةٍ فِي تَكْوِينِ الشَّخْصِيَّةِ السَّوِيَّةِ الْإِجَابِيَّةِ الَّتِي تَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْمُسْتَقْبَلِ مُحْتَفِظَةً بِهَوِيَّتِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِرْثِهَا الْحَضَارِيِّ، وَمُنْفَتِحَةً عَلَى الْعَالَمِ دُونَ تَنَاوُلِ عَنْ ثَوَابَتِهَا الْأَخْلَاقِيَّةِ.

مَلْحَظٌ آخَرَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَعَلَّقُ بِإِتِّخَاذِ الْيَتِيمِ خَادِمًا يُخْدَمُ فِي السَّفَرِ، بَرِغْمَ مَا فِي السَّفَرِ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالتَّعَبِ، وَكَوْنِ الْيَتِيمِ مَحَلَّ الرَّحْمَةِ، إِلَّا أَنَّ الْعُلَمَاءَ ذَكَرُوا أَنَّ مِنْ فِقْهِ الْحَدِيثِ: جَوَازَ اسْتِخْدَامِ الْيَتِيمِ الْحُرِّ الصِّغِيرِ الَّذِي لَا يَحُوزُ أَمْرَهُ^{١٠١٨}، وَوَضَعُوا لِدَلِيلٍ قَدِيدًا وَهُوَ "إِذَا كَانَ صَاحِبًا لَهُ"^{١٠١٩}، أَيِ فِيهِ خَيْرٌ وَنَفْعٌ لِلْيَتِيمِ، وَقِيلَ هَذَا قَيْدٌ لَاسْتِخْدَامِ الْيَتِيمِ فِي الْحَضَرِ وَفِي السَّفَرِ^{١٠٢٠} وَإِلَّا مَا قَبِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَصْحَبَهُ غُلَامٌ يَتِيمٌ مِثْلَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَوْلَا أَنَّ فِي ذَلِكَ نَفْعًا وَخَيْرًا لِلْيَتِيمِ، وَقَدْ زَكَاهُ زَوْجُ أُمِّهِ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذْ يُحَدِّثُ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَائِلًا: "قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَأَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي، فَأَنْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُنْسًا غُلَامًا كَيْسٌ فَلْيَخْدُمَكَ، قَالَ: «فَخَدِّمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لَمْ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعُهُ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟"^{١٠٢١}.

^{١٠١٨} ابن بطال. ٢٠٠٣م. شرح صحيح البخاري لابن بطال. ج. ٨. ص. ١٨٧.

^{١٠١٩} العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الوصايا. باب استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صاحباً له ونظر الأم أو زوجها لليتيم. ج. ١٤. ص. ٦٥.

^{١٠٢٠} المصدر نفسه.

^{١٠٢١} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الوصايا، باب استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صاحباً له ونظر الأم أو زوجها لليتيم. ج. ١١:٤. رقم الحديث ٢٧٦٨.

وتشير الباحثة إلى أن إحصار أبي طلحة لأنس رضي الله عنه، وتركته أمام النبي ﷺ يُعد تطوعاً بالخير، وتعلماً للغلام أن التطوع في خدمة الإمام شرفٌ تُرجى بركته. ودامت هذه الخدمة عشر سنوات، لما حكاه أنس رضي الله عنه بقوله: " فخدمته وأنا ابن عشرة، وتوفي وأنا ابن عشرين " ١٠٢٢، كان له النبي ﷺ نعم المعلم والمؤدب، ما عنفه، ولا عاتبه، ولا وبخه على شيء كان ينبغي أن يصنعه، أو شيء كان ينبغي ألا يصنعه، وهذا من عظيم خلقه ﷺ ورفع أدبه، قال ابن حجر رحمه الله تعالى: " يُستفاد من هذا ترك العتاب على ما فات، لأنَّ هناك مندوحة عنه باستئناف الأمر به إذا احتج إليه، وفائدة تنزيه اللسان عن الزجر والذم، واستتلاف خاطر الخادم بترك معاتبته، وكل ذلك في الأمور التي تتعلّق بحظ الإنسان، وأمّا الأمور اللازمة شرعاً فلا يتسامح فيها، لأنّها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " ١٠٢٣.

ويتضح من الدراسة أن ترك المعاتب للعتاب، وعزوف المعاقب عن إيقاع العقاب فيما هو حقُّ لهما، وتنازلهما طواعيةً عن ذلك الحقِّ، ما هو إلا ضربٌ من ضروب التطوع في الخير، تقرباً لله، وحفظاً للمودة، وصيانةً للأخوة، وجبراً للخواطر. وهذا اللون من التطوع أطلقته الباحثة عليه التطوع "عطاء السلب". وقد تقدّم شرحه، وبيان المقصود به في الفصل الأول ١٠٢٤ من هذه الدراسة. وسيتركز التفصيل في الفقرات اللاحقة على ذكر أمثلة تدلّ عليه من السنة النبوية المطهرة على غرار ما تقدّم ذكره من أمثلة وردت في القرآن الكريم حسبما دلّت عليه الدراسة وأفتضاه الحال.

١٠٢٢ العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الوصايا. باب استخدام النبي في السكر والحضر إذا كان صلاحاً له ونظر

الأم أو زوجها لبيبيم. ج. ١٤. ص. ٦٦.

١٠٢٣ ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ١٠. ص. ٤٦٠.

١٠٢٤ انظر ص. ٢٦ من هذه الدراسة.

٤،٣،٣ نماذج من تطوُّع عطاء السُّلب في السُّنة النَّبَوِيَّة المُطَهَّرَة

قُدِّم النَّبِيُّ ﷺ من خلال السُّنة القَوْلِيَّة، والقُدوة العَمَلِيَّة نماذج رائعة في التَّطَوُّع في شَتَّى صُوَرِهِ، ويمكن النَّظَرُ إلى بعضٍ منها ضمن إطار تَطَوُّع عطاء السُّلب، وفيما يلي عَرَضٌ لأمثلةٍ مُختارةٍ.

قَوْل النَّبِيِّ ﷺ: "... وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ^{١٠٢٥}، وفي رواية الإمام مسلمٍ رحمه الله تعالى: "... وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ... " ^{١٠٢٦}، وفي لَفْظٍ آخَرَ: " لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ^{١٠٢٧}، كلُّ هذه الروايات فيها إشارةٌ إلى خُلُقٍ رفيعٍ يمكن عُدُّه من تَطَوُّع عطاء السُّلب، ذلك هو خُلُقُ "السُّتْرِ"، حيث يَحْرِصُ المسلم على سِتْرِ عُيُوبِ غيره إنْ بَدَتْ له، فلا يَفْضَحُ، ولا يَهْتِكُ، ولا يُظْهِرُ العُورَاتِ، بل يَتَعَاظَلُ عنها، وَيَتَجَاهَلُهَا، وهذا سَمَّتْ أهل الدِّين ^{١٠٢٨}، وأهل الصَّلَاح. إذن هو في الحقيقة لم يقدِّم عطاءً مادياً، أو دَعْمًا مَعْنَوِيًّا، لكنَّه أعطى عطاءً امتناعاً لَمَّا آثَرَ الصَّمْتُ والكَتْمَانُ تَطَوُّعاً منه، وترَفُّعاً عن إشاعة الصِّغَائِرِ، أو الفتنِ، أو التَّسَبُّبِ في إحراج الآخِرِينَ، مع التَّنْبِيهِ إلى أهِمِّيَّةِ الأمرِ بالمعروف والنَّهْيِ عن المنكر، وضرورة تقديم التُّنْضُحِ بالحُسْنَى، والأخذ بعين الاعتبار أنَّ السُّتْرَ يكون لِمَنْ لا يَتَعَمَّدُ المِجَاهِرَةَ بالمعاصي والمنكَرَاتِ، ويُصِرُّ عليها. وقد بيَّن الإمام ابن حجرٍ رحمه الله تعالى هذا المعنى بقوله: " قَوْلُهُ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا: أَي رَأَهُ عَلَى فَيْحٍ فَلَمْ يُظْهِرْهُ، أَي لِلنَّاسِ، وَكَيْسَ فِي هَذَا مَا

^{١٠٢٥} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب المظالم والغصب. باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يُسْلَمُهُ. ج. ٣: ١٢٨. رقم الحديث ٢٤٤٢.

^{١٠٢٦} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. ج. ٤: ٢٠٧. رقم الحديث ٢٦٩٩.

^{١٠٢٧} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب البرِّ والصَّلة والآداب. باب يشارهُ مَنْ سَتَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْبَهُ فِي الدُّنْيَا، بَأَن يَسْتُرُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ. ج. ٤: ٢٠٠. رقم الحديث ٢٥٩٠.

^{١٠٢٨} الصالحى، عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي. ١٤١٧هـ. الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تحقيق: مصطفى عثمان صميذة. بيروت: دار الكتب العلمية. ص. ٤١١.

يَقْتَضِي تَرْكَ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَيُحْمَلُ الْأَمْرُ فِي جَوَازِ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ عَلَى مَا إِذَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ، وَنَصَحَهُ فَلَمْ يَنْتَهَ عَنِ فَيْحِ فِعْلِهِ، ثُمَّ جَاهَرَ بِهِ، كَمَا أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَسْتَتِرَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُ شَيْءٌ، فَلَوْ تَوَجَّهَ إِلَى الْحَاكِمِ وَأَقْرَرَ لَمْ يَمْتَنِعْ ذَلِكَ. وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ السَّتْرَ مُحَلُّهُ فِي مَعْصِيَةٍ قَدْ انْقَضَتْ، وَالْإِنْكَارُ فِي مَعْصِيَةٍ قَدْ حَصَلَ التَّلَبُّسُ بِهَا، فَيَجِبُ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا رَفَعَهُ إِلَى الْحَاكِمِ، وَلَيْسَ مِنَ الْغَيْبَةِ الْمُحَرَّمَةِ، بَلْ مِنَ النَّصِيحَةِ الْوَاجِبَةِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَرْكِ الْغَيْبَةِ لِأَنَّ مَنْ أَظْهَرَ مَسَاوِيَّ أَحِبِّهِ لَمْ يَسْتُرْهُ^{١٠٢٩}. فَمَنْ تَخَلَّقَ بِخُلُقِ السَّتْرِ فَكَفَّ لِسَانَهُ عَنِ ذِكْرِ مَسَاوِيٍّ غَيْرِهِ، نَالَهُ عَظِيمُ الْأَجْرِ، وَكَانَ ثَوَابُهُ مِنْ جِنْسِ مَا عَمِلَ^{١٠٣٠}، فَكَمَا أَنَّهُ سَتَرَ مَعَايِبَ غَيْرِهِ، وَعَضَّ الطَّرْفَ عَنْهَا تَطَوُّعًا، فَإِنَّ اللَّهَ يُرْخِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا يَفْضَحْهُ، أَوْ يُظْهِرَ سِيئَاتِهِ عَلَى الْمَلَأِ، وَهَذَا عَطَاءُ رَبِّ كَرِيمٍ حَلِيمٍ، يَسْتُرُ الْقَبِيحَ، وَيُظْهِرُ الْجَمِيلَ.

حديثٌ نبويٌّ شريفٌ آخرٌ يُعَدُّ فِيهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ أَنْوَاعًا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يُمْكِنُ لِلْمُسْلِمِ أَدَاؤُهَا، فَيَحُوزُ بِهَا أَجْرَ الصَّدَقَةِ، مُرَاعِيًا تَفَاوُتَ النَّاسِ فِي الثَّدْرَاتِ وَالْإِمْكَانَاتِ، حَيْثُ قَالَ ﷺ مُرْعَبًا وَمُحْفِرًا: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»^{١٠٣١}، وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ: "يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْحَيْرِ"^{١٠٣٢}.

^{١٠٢٩} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ٥. ص. ٩٧.

^{١٠٣٠} المصدر نفسه.

^{١٠٣١} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ. ج ٢: ١١٥. رقم الحديث ١٤٤٥.

^{١٠٣٢} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الزكاة باب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَنْفَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ. ج. ٢: ٦٩٩. رقم الحديث ١٠٠٨.

يُلاحظ المتأمل في هذا الحديث عدداً من التوجيهات النبوية الكريمة بدأت بالحث على التصدق بما هو مُتيسر، دون تعيين لمقدار الصدقة أو وقتها، وإنما جاء بها بلفظ التنكير، فكانت مُطلقة لتشمل التصدق بالقول وبالفعل، وأيضاً بالكف عن الفعل. واختلف العلماء في تفسير قوله ﷺ "على كل مسلم" بين من حملها على سبيل الاستحباب المؤكد أو الوجوب^{١٠٣٣} في تفصيل ليس هذا محلّه، والشاهد هنا تدريج التوجيه النبوي الكريم في بيان مصدر الصدقة، فبيّن أن أفضلها ما كان من عمل المرء بيده، وفي هذا حث على العمل، فهو أعف للمسلم من الجلوس عالة على المجتمع، وليكفي نفسه وأهله، ويجود بما زاد عنده، فإن تعذر وجود الفائض سعى في تقديم العون للملهوف، فإن لم يستطع فلا يتأخر عن الأمر بالمعروف أو الخير، والنهي عن المنكر، والمعروف هو "اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله عز وجل، والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبّحات"^{١٠٣٤}، وكلّ الخيارات السابقة من أعمال الخير يُكتب لفاعلها أجر الصدقة إن كانت نيته حسنة^{١٠٣٥}، وهي صور من تطوع عطاء الإيجاب، فإن فاتته ذلك كله فليحرص على ألا يفترط في عطاء السلب، وهو أن يكف شره عن نفسه، وعن غيره، فيمسك عن فعل المعاصي أو المقبّحات، وله بذلك أجر الصدقة.

يعضد الحديث السابق حديثاً آخر للنبي ﷺ وهو يعلم أصحابه جملة من الآداب الراقية التي تحفظ عليهم دينهم، وتراعي حقوق الآخرين ومصالحهم ومشاعرهم، حيث قال ﷺ: "إياكم والجلوس على الطرقات"، فقالوا: ما لنا بُد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: «فإذا أبيئتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق

^{١٠٣٣} العيني. د. ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب على كل مسلم صدقة فمن يجد فليعمل بالمعروف. ج. ٨.

ص. ٣١١.

^{١٠٣٤} المصدر نفسه.

^{١٠٣٥} المصدر نفسه. ج. ٨. ص. ٣١٢.

حَقَّقَهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكُفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»^{١٠٣٦}.

وهذا الحديث هو واحدٌ من مجموعةٍ أحاديثٍ تَضَمَّنَتْ عدداً من الآدابِ النَّبَوِيَّةِ الرَّفِيعَةِ عَدَّهَا العلماءُ أربعةَ عشرَ أدباً^{١٠٣٧}، وقد استهلَّها هذا الحديثُ الشَّرِيفُ بِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ يُمْكِنُ عَدُّهُمَا مِنْ تَطَوُّعِ عَطَاءِ السُّلْبِ بِحَسَبِ التَّعْرِيفِ الَّذِي اسْتَحَدَّثْتَهُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ، وَذَلِكَ لِمَا فِيهِمَا مِنْ امْتِنَاعٍ عَنِ عَمَلٍ يَنْصَرِّرُ مِنْهُ فَاعِلُهُ، وَيُضَرُّ بِهِ غَيْرُهُ، وَبِالامْتِنَاعِ تَتَحَقَّقُ مَصْلَحَةٌ لَهُ وَغَيْرُهُ، هَذَا الْأَمْرَانِ هُمَا:

- "غَضُّ الْبَصَرِ"، وَأُرِيدُ بِهِ السَّلَامَةَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْفِتْنَةِ^{١٠٣٨}،

- "وَكُفُّ الْأَذَى"، وَأُرِيدُ بِهِ "السَّلَامَةَ مِنَ التَّعَرُّضِ إِلَى أَحَدٍ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مِمَّا لَيْسَ فِيهِمَا مِنْ

الْخَيْرِ"^{١٠٣٩}،

بِخِلَافِ بَقِيَّةِ الْآدَابِ الَّتِي تُعَدُّ مِنْ قَبِيلِ تَطَوُّعِ عَطَاءِ الْإِحْبَابِ، مِثْلَ: رَدِّ السَّلَامِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَتَحْذِيرِ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابِهِ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَى الطَّرِيقَاتِ يَنْبَغُ عَنْ رَحْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ، لِمَا فِي الْجُلُوسِ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ مِنْ مَطْلَبَةِ التَّعَرُّضِ لِلْفِتْنَةِ، وَحُصُولِ الْإِثْمِ، وَإِيقَاعِ الْحَرْجِ عَلَى الْآخَرِينَ وَرَبْمَا الْإِضْرَارِ بِهِمْ، وَحَمَلِ الْعُلَمَاءِ هَيْبَةَ ﷺ عَلَى أَنَّهُ مِنْ بَابِ سَدِّ الدَّرَائِعِ، وَلَيْسَ عَلَى جِهَةِ التَّحْرِيمِ^{١٠٤٠} وَإِلَّا لَمَا

^{١٠٣٦} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب المظالم والغضب. باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصُّعَدَاتِ. ج ٣: ١٣٢. رقم الحديث ٢٤٦٥. ومسلم. د. ت. صحيح مسلم. كتاب اللباس والزينة. باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه. ج ٣. ص ١٦٧٥. رقم الحديث ٢١٢١.

^{١٠٣٧} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١١. ص ١١.

^{١٠٣٨} العيني. د. ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب المظالم والغضب. باب أفنية الدور والجلوس فيها على الصُّعَدَاتِ. ج ١٣. ص ١٣.

^{١٠٣٩} المصدر نفسه.

^{١٠٤٠} العيني. د. ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب المظالم والغضب. باب أفنية الدور والجلوس فيها على الصُّعَدَاتِ. ج ١٣. ص ١٣. ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١١. ص ١١.

راجعه الصحابة رضوان الله عليهم فبينوا مُرادهم من تلك المجالس، وأنها تنفعهم في التعاهد في أمور دينهم، ومصالح دنياهم.

وُشير الباحثة أن ابتدار الحديث النبوي الشريف بذكر أدب من آداب الطريق قوامهما الامتناع عن الفعل يُمثل تطوع عطاء سلب، وقد يكون في هذا التقديم إشارة إلى أهمية هذا النوع من التطوع لأنه في مقدور الجميع فعله، ولا يتطلب سوى نيّة، وضبط نفسٍ مقارنةً بالآداب الأخرى التي وردت في الحديث، وهي من قبيل تطوع عطاء الإيجاب. فعضُّ البصر يعني امتناع عن إطلاقه، وكفُّ الأذى يعني امتناع عن إيقاعه، والعمل بنقيضهما يحصل به الأذى والحرَج، وربما الضَّرر للفاعل وللآخرين، فكلاهما قد يقود إلى الوقوع في الإثم والمعصية، والمسلم منهيٌّ عن فعل المعصية، بل مأمورٌ بالاحتراز منها، واجتناب الطرق المؤدّية للوقوع فيها.

وقد قال العلماء في المفاضلة بين ترك المحرّمات، وفعل الطاعات أن ترك المحرّمات فيه تفضيلٌ على فعل النوافل من الطاعات^{١٠٤١}، وأنّ التخلية عن الرذائل، ومُحقرات الأمور أولى من الإتيان بفضائلها^{١٠٤٢}، وهذا هو جوهر عطاء السلب، ولذلك كانت السلامة للمرء في مجاهدة نفسه في الامتناع، والحِرْص على الإتيان بالنوافل والمكْرُمات ما استطاع.

وبين النبي ﷺ في أحاديث أخرى أن التَّسبُّب في أذى الآخرين عقابه وخيمٌ، ويسبق الثَّواب على الطاعات، وعلى المسلم أن يحتز من إتيان أيِّ عملٍ يتسبَّب في إلحاق الأذى بالآخرين، بعض النَّظر عن حجم الأذية، وأول ما يجب عليه الاحتراز منه والإفلاج عنه أذى اللسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه

^{١٠٤١} ابن رجب. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. ج. ١. ص. ٢٥٣.
^{١٠٤٢} العيني. د. ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب من الدين الفرار من الفتن. ج. ١. ص. ١٦٠.

قال: "قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ". قَالُوا: وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدَّقُ بِأَثْوَارٍ ١٠٤٣، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" ١٠٤٤. عَرَضَ هَذَا الْحَدِيثَ نُمُودَجِينَ لِامْرَأَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا تَمَيَّزَتْ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ التَّطَوُّعِيَّةِ (عَطَاءٍ إِجَابٍ) لَكِنَّهَا أَطْلَقَتْ لِسَانَهَا فِي جِيرَانِهَا فَأَذْهَمَ، فَكَانَ مَصِيرُهَا النَّارَ، وَلِئِنَّهَا كَفَّتْ شَرَّ لِسَانِهَا كَمَا هُوَ حَالُ الْمَرْأَةِ فِي النَّمُودَجِ الْآخَرَ، فَاسْتَعَاذَتْ عَنْ كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ التَّطَوُّعِيَّةِ بِالتَّزَامِ الْوَاجِبَاتِ، وَكَفَّتِ اللِّسَانَ عَنْ كُلِّ مَا يُسَبِّبُ الضَّرَرَ وَالْحَرْجَ لِلآخَرِينَ، وَعَنْ قَوْلِ مَا لَيْسَ بِخَيْرٍ، فَكَفَّتِ اللِّسَانَ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ وَاجِبَتْ، وَكَفَّتْ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ تَطَوُّعِ عَطَاءِ سَلْبٍ يُثَابُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ، وَقَدْ قِيلَ: "إِنَّ مَا لَيْسَ بِخَيْرٍ مِنَ الْكَلَامِ، فَالسُّكُوتُ عَنْهُ أَفْضَلُ مِنَ التَّكَلُّمِ بِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ" ١٠٤٥. وَقَدْ قَالَ ﷺ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" ١٠٤٦.

تلك كانت بعض النماذج من أحاديث نبوية كثيرة دعت المسلمين إلى التطوع، ورغبتهم فيه بحيث إن عجز المسلم عن تطوع عطاء الإيجاب بسبب قلة ذات اليد، فلا يعجز عن الامتناع والكف عن ممارسة ما لا يليق بمكارم الأخلاق، وهو الذي أطلق عليه في هذا المبحث تطوع عطاء السلب، كي لا يفوت أحداً أجر العطاء، وفضل التصدق.

١٠٤٣ جمع ثور: القطعة من الأقط، وهو الجبن المجفف الذي يتخذ من مخيض لبن الغنم.

١٠٤٤ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري. حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة الرابعة. دار الصديق للنشر والتوزيع. باب لا يؤذي جاره. ص. ٦٩-٧٠.

١٠٤٥ ابن رجب. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. ج. ١. ص. ٣٣٩.

١٠٤٦ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب حفظ اللسان. ج ٨: ١٠١. رقم الحديث ٦٤٧٨.

والحديث عن تطوع عطاء السلب له علاقة بكفاية إدارة التحكم بالذات، والقدرة والمهارة في التعامل مع الآخرين بشكل إيجابي لا يُسبب الأذى أو الإحراج، وهذا من شأنه تقوية الإرادة في شخصية المتطوعي الصَّعير وتجنُّب الخلافات، وما يُعكِّر صَفْوَ العلاقات مع الآخرين سواءً ضمن الأسرة أو في المدرسة أو التَّعامُلات العامَّة.

٤،٤ المبحث الثالث: الحُضُّ على التَّطُوع من خلال السُّنَّة الفِعلِيَّة للنَّبِيِّ ﷺ وكفَايَات تُوْجِيه الصِّغار نَحْوَهُ

يُجِدُّ المسلم في سيرة النَّبِيِّ ﷺ؛ سواءً قبل البعثة أو بعدها؛ الكثير من المواقف العمليَّة التي ضَرَبَ فيها النَّبِيُّ ﷺ أروع وأرقى الأمثلة للتَّربية بالقُدوة في شتَّى مجالات الحياة، ومنها التَّطُوع، ذلك ليتأسَّى بها المسلم، فيسير على حُطَى النَّبِيِّ ﷺ، مُستَحْضِراً عِظَمَ الثَّوَابِ الذي سَيَنْقَلِبُ به إذا ما أُخْلِصَ النَّيَّةَ في هذا الاتِّباع. فالدُّروس النَّبَوِيَّة العمليَّة في باب التَّطُوع لا تُعَدُّ، ولا تُحْصَى، وستُكشِفُ السُّطور القادمة عن بعضٍ منها.

٤،٤،١ أفعال النَّبِيِّ ﷺ التَّطُوعِيَّة قَبْلَ البعثة

لقد عُرف النَّبِيُّ ﷺ منذ نشأته بمكارم الأخلاق، ومُجِبِّهِ للخير، ومُساعدَةِ الغير فيما هو خيرٌ، من ذلك مشاركته ﷺ التَّطُوعِيَّة مع قومه في تجديد بناء الكعبة الشَّريفة^{١٠٤٧}، وذلك قَبْلَ تَكْلِيفِهِ بالرِّسَالَةِ، فقد ورد في الصَّحِيحَيْنِ حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه حين أُخْبِرَ: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ»، فَقَالَ لَهُ العَبَّاسُ عُمَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَ عَلَيَّ

^{١٠٤٧} الصَّلابي، علي مُحَمَّد مُحَمَّد. ٢٠١٩م. السيرة النَّبَوِيَّة. الطبعة التاسعة. دمشق: دار ابن كثير. ج. ١. ص. ٧٣.

مَنْكِبَيْكَ دُونَ الْحِجَارَةِ، قَالَ: «فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، فَسَقَطَ مَعْشِيًا عَلَيْهِ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عُزَيَانًا
 ﷺ ١٠٤٨. وحين تنافس القوم فيمن يضع الحجر الأسود تنافساً كاد يُوقع بينهم خصومةً شديدةً تصل إلى
 حدِّ الاقتتال، برزت حكمة النبي ﷺ في تهدئة الموقف، حيث قبل طواعيةً أن يكون حكماً بين القوم
 ليُخمد نار الفتنة، ويمنع التناحر، فدعا بثوبٍ، ووضع الركن في وسطه، ثم أشار على كلِّ قبيلةٍ أن تأخذ
 بناحيةٍ منه، وبذا تشارك الجميع في شرف رفع الحجر الأسود^{١٠٤٩}. وقد تحقّق بفعله ﷺ مقصدٌ عظيمٌ من
 مقاصد التطوّع ممثّل في إخماد الفتن، وحلّ النزاعات، وفصل الخصومات، ورفع الضرر، وإحلال السلام
 والوثام بين أفراد المجتمع. فكم من فتنةٍ وُئدت، ونارٍ غيظٍ أطفئت بتطوّعٍ حكيمٍ سعى به الخيرون المتطوّعون
 للإصلاح بين الناس.

ويستطيع المرّبي عند شرح موقف النبي ﷺ في هذه الحادثة توجّيه المترّبين الصغار إلى عددٍ من
 الكفايات التّربوية ومنها:

- كفاية التّواصل مع الغير بالإشارة إلى ما اكتسبه النبي ﷺ من مكانةٍ طيبةٍ في نفوس القوم،
 واحترامٍ له، وثقةٍ بشخصه الكريم، وذلك بسبب ما عُرف به من حُسن التّعامل، ورفيع الخلق،
- كفاية التّفكير الإبداعي، حيث استطاع النبي ﷺ بفكرةٍ حكيمةٍ القضاء على فتنةٍ كادت
 تقع بين المتخالفين،
- وكفاية تحمّل المسؤولية، إذ لم يرفض النبي ﷺ القيام بدور الحكم بين المتخاصمين، بل رحّب
 بالفكرة، ممّا يدلُّ على شعوره بالمسؤولية تجاه قومه.

١٠٤٨ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الصّلاة. باب كراهية التعرّي في الصّلاة وغيرها. ج ١: ٨٢. رقم الحديث ٣٦٤. مسلم.
 د.ت. صحيح مسلم. كتاب الحيض. باب الاعتناء بحفظ العورة. ج. ١: ٢٦٨. رقم الحديث ٣٤٠.
 ١٠٤٩ الصّلاحي. ٢٠١٩م. السيرة النبوية. ج. ١. ص. ٧٣.

ويمكن للمتمزّي الصّغير أن يمارس مثل هذه الأدوار المفيدة بين أقرانه، فيتعلّم إدارة الحوار أو النزاع إذا

نشأ بين أصحابه، ويسعى في أمور الخير، ولا يتنصّل من الإحساس بالمسؤوليّة تجاه الغير.

ومن موافقه ﷺ التّطوعيّة قبل البعثة إعتاقه لأمّ أيمن رضي الله عنها بعد زواجه من السيّدة خديجة

رضي الله عنها^{١٠٥٠}. وإعتاقه ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه بعدما وهبته له السيّدة خديجة رضي الله

عنها^{١٠٥١}.

ولا أدلّ على كريم خلقه ﷺ، وطيب عطاءه، ومساعدته في الأعمال التّطوعيّة من وصف أمّ المؤمنين

السيّدة خديجة رضي الله عنها، وهي تُعدّد مناقبه ﷺ لتهدّي من رّوعه بعد أن جاءها يرّجف فؤاده من

هؤل ما رأى في غار حراء، حاملاً في صدره الشّريف أوّل ما أوحى إليه من آيات القرآن الكريم، والحديث

مذكور بطوله في الصّحيحين برواية أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها، حيث جاء فيه: "... فرجع

بها رسول الله ﷺ يرّجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني»

فرملوه حتى ذهب عنه الرّوع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة:

كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين

على نوائب الحقّ...^{١٠٥٢}، وهذه الأوصاف الرّفيعة الرّاقية من الرّوجة الحنون التي تحفظ عن زوجها جميل

ما يصنع من معروف، وما يبذل من الخير للغير قريباً كان أو غريباً تعكس شخصيّة الرسول ﷺ المعطاءة،

^{١٠٥٠} ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي. ١٤١٠هـ. الطبقات الكبرى. تحقيق: محمد عبد

القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. ٨. ص. ١٧٩.

^{١٠٥١} المصدر نفسه.

^{١٠٥٢} البخاري. ٤٢٢هـ. صحيح البخاري. باب بدء الوحي. ج. ١: ٧. رقم الحديث ٣. مسلم. د. ت. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب

بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ. ج. ١: ١٣٩. رقم الحديث ١٦٠.

ورحمته بالناس، وتَجَدُّرُ الخَيْرِيَّةِ في نفسه الشَّرِيفَةِ، وهذا ما حَدا بِالزَّوْجَةِ الرَّؤُومِ أَنْ تُقَسِّمَ بِقَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ أَنْ
الله ما كان لِيُخْزِيه أبدأ، أو يَخْذله لِمَا جَمَعَ من كَرِيمِ الخِصَالِ.

قال ابن حجرٍ رحمه الله تعالى في شرح الحديث: " ثُمَّ اسْتَدَلَّتْ عَلَيَّ مَا أَقْسَمْتُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْيِ ذَلِكَ
أبدأً بِأَمْرِ اسْتِقْرَائِي، وَصَفَّتْهُ بِأُصُولِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، لِأَنَّ الْإِحْسَانَ إِمَّا إِلَى الْأَقْرَابِ، أَوْ إِلَى الْأَجَانِبِ،
وَإِمَّا بِالْبَدَنِ أَوْ بِالْمَالِ، وَإِمَّا عَلَى مَنْ يَسْتَقِلُّ بِأَمْرِهِ، أَوْ مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِيهَا وَصَفَّتْهُ
به "١٠٥٣"، فَحَمَلَتْ وَصْفُهَا هُنَا خَمْسَ خِصَالٍ، وَخِصْلَةٌ سَادِسَةٌ وَرَدَتْ فِي رِوَايَةِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ حِينَ ذَكَرْتُ
"وَتَصَدَّقُ الْحَدِيثُ". وَبِالنَّظَرِ إِلَى الْخِصَالِ الَّتِي ذَكَرْتَهَا السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الْحَدِيثِ فَإِنَّ:

- أَوَّلُ تِلْكَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ حِرْصُهُ ﷺ عَلَى صِلَةِ الرَّحِمِ، وَفِي هَذَا إِشَادَةٌ بِأَهْمِيَّةِ إِحْاطَةِ
الأَرْحَامِ بِالْعِنَايَةِ، وَإِعْطَائِهِمُ الْأَوْلَوِيَّةَ فِي الْمَسَانِدَةِ وَالرِّعَايَةِ، وَتَقْدِيمِهِمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ فِي كُلِّ
خَيْرٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ مَا يُمدَّحُ بِهِ الْمَرْءُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَعَدَّ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى الزِّيَارَةَ لِلْأَقْرَابِ، وَالسَّلَامَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالصِّلَةِ^{١٠٥٤}. وَهَذَا يَتَعَلَّمُ الْمُتَرَبِِّّي الصَّغِيرَ
كِفَايَةَ الْعِلَاقَةِ بِالْغَيْرِ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ عِلَاقَتَهُ بِالْأُسْرَةِ وَالْأَرْحَامِ تَأْتِي فِي مُقَدِّمَةِ الْعِلَاقَاتِ
بِالْآخَرِينَ مِنْ حَيْثُ الْأَهْمِيَّةُ وَالْإِهْتِمَامُ.

- ثُمَّ وَصَفَتْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِأَنَّهُ ﷺ "يَحْمِلُ الْكُلَّ"، أَيُّ يَقُومُ بِشَأْنِ مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِأَمْرِهِ بِسَبَبِ
الْيَتِّمِ أَوْ غَيْرِهِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِنْفَاقُ عَلَى الضَّعِيفِ وَالْيَتِيمِ وَالْعِيَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ^{١٠٥٥}.

^{١٠٥٣} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ١. ص. ٢٤.

^{١٠٥٤} النووي. ١٣٩٢هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج. ٢. ص. ٢٠١.

^{١٠٥٥} المصدر نفسه.

وَيَتَعَلَّمُ الْمَتْرَبِيُّ الصَّغِيرَ التَّوَاضِعَ مَعَ مَنْ يَرَاهُمْ أَقَلَّ مِنْهُ فِي الْإِمْكَانَاتِ أَوْ الصِّفَاتِ، بَلْ يَسْعَى
بِالتَّلَطُّفِ مَعَهُمْ، وَتَقْدِيمِ الْعَوْنِ لِلْمَحْتَاجِ.

- وَقَوْلَهَا " وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ " سِوَاءً بِضَمِّ التَّاءِ أَوْ فَتْحِهَا فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ ﷺ يُعْطِي النَّاسَ
عَطَاءً كَرِيمًا مِمَّا لَا يَجِدُونَهُ عِنْدَ غَيْرِهِ، أَوْ أَنَّهُ يُعْطِي الْمَعْدُومَ أَيَّ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ، فَهُوَ
يَتَبَرَّعُ بِمَا عِنْدَهُ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ جُودًا وَسَخَاءً وَكِرَامًا، وَيُكْرِمُ الضَّيْفَ فَلَا يَبْخُلُ، وَيُعِينُ فِي حَقِّ
عَلَى مَا يَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ مِنَ الْمَهْمَاتِ وَالضِّيْقِ. وَمِنْ هَذَا الْخُلُقِ يَتَعَلَّمُ الْمَتْرَبِيُّ الصَّغِيرَ التَّخَلُّصَ
مِنَ الْبُخْلِ وَالشُّحِّ، وَيَكْتَسِبُ كِفَايَةَ التَّطَوُّعِ بِالْعَطَاءِ وَالْإِحْسَانِ.

وَاسْتَدَلَّ الْعُلَمَاءُ مِنْ حَدِيثِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى أُمُورٍ عَدَّةٍ، مِنْهَا: "أَنَّ مَكَارِمَ
الْأَخْلَاقِ وَخِصَالَ الْخَيْرِ سَبَبُ السَّلَامَةِ مِنْ مِصَارِعِ السُّوءِ، وَفِيهِ مَدْحُ الْإِنْسَانِ فِي وَجْهِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ
لِمَصْلَحَةِ نَظَرٍ، أَوْ فِيهِ تَأْنِيْسٌ مَنْ حَصَلَتْ لَهُ مَخَافَةٌ مِنْ أَمْرِ، وَتَبَشِيرَةٌ، وَذِكْرُ أَسْبَابِ السَّلَامَةِ لَهُ" ١٠٥٦. وَكُلُّ
تِلْكَ الْخِصَالِ الشَّرِيفَةِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبْدُئُهَا تَطَوُّعًا وَتَكْرُمًا مِنْهُ قَبْلَ تَكْلِيفِهِ بِالرِّسَالَةِ لِأَنَّهَا مِنْ سَجَايَاهِ الْأَصِيلَةِ،
فَلَمَّا كُفِّ بِهَا لَمْ يَقْطَعْهَا، بَلْ زَادَ فِيهَا وَأَتَمَّ انْسِجَامًا مَعَ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ السَّمْحَةِ، لِأَنَّهُ جَاءَ مُتَمِّمًا لِمَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ، وَمُعَزِّزًا لِطَيْبِ الشَّمَائِلِ.

وَتَرَى الْبَاحِثَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ إِشَارَةً أُخْرَى يَنْبَغِي لِلْمَتَأَسِّيِّ بِالسِّيَرَةِ الْعَطْرَةِ أَلَّا تَفُوتَهُ، فَهَذَا
الْحَدِيثُ يَكْشِفُ طَوْلَ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ بِخُلُقِ التَّطَوُّعِ، سِوَاءً فِي ذَلِكَ تَطَوُّعِهِ فِي الْعِبَادَةِ، حَيْثُ كَانَ يَنْشُدُ
الْحُلُوةَ لِلتَّعْبُدِ وَالتَّحَنُّثِ فِي غَارِ حِرَاءَ شَهْرًا مِنْ كُلِّ سَنَةٍ ١٠٥٧، وَيَجْرُسُ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ تَطَوُّعِهِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ

١٠٥٦ المصدر نفسه. ص ٢٠٢.

١٠٥٧ ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٠. ص ٤٢٥.

الآخرين، من أقرباء أو غرباء، فهو ﷺ دوماً معطاءً. فالحرص على الخلوة للتعبُد والتَّحَنُّث، والتَّفَكُّر في أمور الكون والخلق فيه فوائدٌ جمَّةٌ منها: صفاء النَّفس، والتَّطَهُّر من الأدْران النَّفْسِيَّة، والملوِّثات الفكرية التي تُصيب المرء جزاءً مخالطة النَّاس، والصَّحْب في مُعْتَرَك الحياة، وهو فرصةٌ للتَّفَقُّه في شأن الذَّات ومُجريات الأقدار، ومن سعى للعبادة مُتَطَوِّعاً، وفقه الله لكلِّ خيرٍ، وأهمه حُبُّ الخير وبَذله للنَّاس، فمن بركات التَّطَوُّع في العبادة التَّوفيق لأفعال الخير وأسباب السَّعادة. وهذه كفايةٌ جديدةٌ تتعلَّق بالكفاية العرفانية أو المعرفية التي تختصُّ بتربية الذَّات على الإيمان والمعتدِّ الصَّحيح، فيضيفها المرِّي إلى الكفايات التي سبق الحديث عنها في حديث السيِّدة خديجة رضي الله عنها ليوجِّهها إلى المترِّي الصَّغير فينشأ ويشبَّ عليها، وما أجملها وأنفعها من كفاياتٍ تبنيه بناءً متيناً على المستوى النَّفسي والفكري والتَّواصلِي مع الآخرين.

٢، ٤، ٤ أفعال النَّبي ﷺ التَّطَوُّعية بعد البعثة

أولاً: التَّطَوُّع في العبادات

وردت في الصَّحيحين وغيرهما أحاديث كثيرةٌ تُبيِّن حرص النَّبي ﷺ على التَّطَوُّع في العبادات من صلاةٍ، وصيامٍ، وصدقاتٍ، وغير ذلك من العبادات، وستعرض الدِّراسة لِلذِّكْر بعض الأحاديث الواردة في ذلك.

• صلاة التَّطَوُّع:

سواء السُّنن الرَّاتبة أو غيرها، جاء في صحيح مسلمٍ عن عبدِ الله بنِ شقيقٍ، قال: سألتُ عائشةَ عن صلاةِ رسولِ الله ﷺ، عن تَطَوُّعِهِ؟ فقالت: «كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ،

وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ تِسْعَ رَكَعَاتٍ فِيهِنَّ الْوِثْرُ، وَكَانَ يُصَلِّي لَيْلًا طَوِيلًا قَائِمًا، وَلَيْلًا طَوِيلًا قَاعِدًا، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ، وَإِذَا قَرَأَ قَاعِدًا رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ" ١٠٥٨. وحديث حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ لِلتَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ يَشْوَصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ" ١٠٥٩. وحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي التَّطَوُّعَ وَهُوَ رَاكِبٌ فِي غَيْرِ الْقِبْلَةِ" ١٠٦٠.

تَدُلُّ الْأَحَادِيثُ الْمَشَارِ الْإِلَهَاءَ عَلَى تَيْسِيرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي فِعْلِ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ، فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي رَاحَ بَيْنَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ فِي آدَاءِ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ، وَفِي الْحَدِيثِ الثَّلَاثِ تَيْسِيرٌ فِي مَشْرُوعِيَّةِ الصَّلَاةِ عَلَى الدَّابَّةِ ١٠٦١، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْتَمِلُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّطَوُّعِ بِحَسَبِ مَا يَتَيَسَّرُ لَهُمْ مِنَ الْوَقْتِ وَالْمَكَانِ وَالْحَالِ وَدُونِهَا تَكْلُفٍ ١٠٦٢، وَهَذَا مِنْ سِمَاةِ هَذَا الدِّينِ.

وَحَدِيثُ آخَرَ يُبَيِّنُ تَطَوُّعَهُ ﷺ فِي آدَاءِ صَلَاةِ الْكُسُوفِ، حَيْثُ قَالَ أَبُو بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْرُ رِدَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا، فَصَلَّى بِنَا رَكَعَتَيْنِ حَتَّى انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَصَلُّوا، وَادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بَيْنَكُمْ» ١٠٦٣. وَوَرَدَ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَمْ تَصْنَعْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ

١٠٥٨ مسلم. د. ت. صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب جواز التأفلة قائمًا وقاعِدًا، وفعل بغض الرجعة قائمًا وبغضها قاعِدًا. ج. ٥٠٤:١. رقم الحديث ١٠٥.

١٠٥٩ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب التهجد. باب طول القيام في صلاة الليل. ج ٢: ٥١. رقم الحديث ١١٣٦.

١٠٦٠ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. باب صلاة التطوع على الدابة وحديثها توجهت به. ج ٢: ٤٤. رقم الحديث ١٠٩٣.

١٠٦١ القرطبي. ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). ج. ٢. ص. ٨١.

١٠٦٢ العيني. د. ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الصلاة. باب التوجه نحو القبلة حيث كان. ج. ٤. ص. ١٣٦.

١٠٦٣ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. أبواب الكسوف. باب الصلاة في كسوف الشمس. ج ٢: ٣٣. رقم الحديث ١٠٤٠.

مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا...»^{١٠٦٤}، وفي هذا الحديث توجيهُ نبويٍّ كريمٍ يدعو المسلم إلى أن يزيد في طاعاته، وفي تطوُّعه، ويتفانى في ذلك ليؤدِّي حقَّ الشُّكر لله على ما أنعم عليه من الهداية والرِّزق والرِّعاية، دون أن يَغْتَرَّ بكثرة عمله، فإنَّ فضلَ الله على عباده لا يُكافئه شكرُ مهما بدَّل العبد، فالله رحيمٌ رحيمٌ، وهو الشَّكور، وصاحبُ الفضلِ العظيم.

وهنا تُشير الدِّراسة إلى الكيفيات التي يتعلَّمها المتربِّي الصَّغير من هذه الأحاديث النَّبويَّة، منها ما يتعلَّق بالمفاهيم كاللِّتَعَرُّف على الدَّات، وإدراك ما في النَّفس من المعتقدات، كأنَّ يَعْرِف أنَّ ما به من نِعْمٍ إمَّا هي من الله، فيتمَّ توجيُّهه لعبادة الشُّكر على هذه النِّعم، وهي نِعْمٌ لا تُعدُّ ولا تُحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا...﴾^{١٠٦٥}. والله يُحبُّ الشَّاكرين. ومنها ما يتعلَّق به الصَّغير إلى اليُسْر الذي حوَّته تعاليم الدِّين، فلا مَشَقَّة في اتِّباعها، بل إنَّ هذا التيسير لمساعدة العباد على الأداء، وأنَّ الظَّواهر الكونيَّة من خسوفٍ أو كسوفٍ وغيرها من الظَّواهر أمرها بيد الله، ولا تتحكَّم بأقدار البشر، وبهذا الاعتقاد يتحرَّر ذهن الصَّغير من الخرافات، والادِّعاءات، والمعتقدات الشِّرْكية الباطلة.

• صِيَامُ التَّطَوُّعِ

فقد وردت في تطوُّع النَّبيِّ ﷺ في الصِّيَامِ أحاديثٌ كثيرةٌ، منها:

^{١٠٦٤} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن. باب {لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَبِئْسَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح: ٢]. ج ٦: ١٣٥. رقم الحديث ٤٨٣٧.
^{١٠٦٥} القرآن. النحل ١٦: ١٨.

- قول ابن عباس رضي الله عنهما: " مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَهَذَا الشَّهْرُ يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ "١٠٦٦، ومعنى يَتَحَرَّى أَي يَقْصِدُ صَوْمَهُ رَغْبَةً فِي تَحْصِيلِ ثَوَابِهِ ١٠٦٧.

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْحَمِيسِ، فَأَحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ "١٠٦٨، وحين سألت معاذة العَدَوِيَّةَ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رضي الله عنها زوج النَّبِيِّ ﷺ: " أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؟ " قَالَتْ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ لَهَا: «مِنْ أَيِّ أَيَّامِ الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟» قَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أَيِّ أَيَّامِ الشَّهْرِ يَصُومُ» ١٠٦٩.

- وورد في الحديث الصَّحِيح قول أنس بن مالك رضي الله عنه: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنُّ أَنْ لَا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنُّ أَنْ لَا يُفْطِرُ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ "١٠٧٠.

وَتُبَيِّنُ الدِّرَاسَةُ أَنَّ حِرْصَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى التَّطَوُّعِ فِي عِبَادَةِ الصَّوْمِ فِيهِ تَعْلِيمٌ لِلْمُسْلِمِ بِضُرُورَةِ ضَبْطِ النَّفْسِ، وَكِبْحِ جَمَاحِهَا عَنِ الْمَلذَّاتِ، فَالصَّوْمُ مَدْرَسَةٌ يَتَعَلَّمُ فِيهَا الْمُتَرَبِّى الصَّغِيرَ كِفَايَةَ إِدَارَةِ الدَّاتِ مِنْ حَيْثُ القُدْرَةُ عَلَى التَّحَكُّمِ بِالشَّهَوَاتِ، فَيُمْسِكُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ صَوْمًا تَطَوُّعِيًّا لِلَّهِ، كَمَا يَتَعَلَّمُ الصِّدْقُ مَعَ

١٠٦٦ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء. ج ٣: ٤٤. رقم الحديث ٢٠٠٦.
١٠٦٧ ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ٤. ص ٢٤٩.
١٠٦٨ الترمذي. ١٣٩٥هـ. سنن الترمذي. ج ٣. ص ١١٣. رقم الحديث ٧٤٧. وهو حديث حسن غريب.
١٠٦٩ مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الصوم. باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس. ج ٢: ٨١٨. رقم الحديث ١١٦٠.
١٠٧٠ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب التهجد، باب قيام النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ مِنْ نَوْمِهِ، وَمَا نُسِخَ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ. ج ٢: ٥٢. رقم الحديث ١١٤١.

الذات، فالصيام أمر لا أحد يعلم حقيقته إلا الله سبحانه وتعالى، وبذا يستشعر المترّي الصغير وجدانياً مُراقبة الله عزّ وجلّ، كما أنّ الصوم يجعله بعيداً عن المراءاة.

• التطوّع في زيارة البيت الحرام:

وأما هديّه ﷺ في زيارة البيت الحرام فقد ورد عن قتادة، أنّ أنسا رضي الله عنه، أخبره قال: " اعتَمَرَ رسولُ الله ﷺ أربعَ عُمَرٍ، كُلُّهُنَّ في ذِي القَعْدَةِ، إِلَّا الَّتِي كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ: عُمْرَةٌ مِنَ الحُدَيْبِيَّةِ في ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةٌ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ في ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةٌ مِنَ الجِعْرَانَةِ، حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ في ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةٌ مَعَ حَجَّتِهِ " ١٠٧١، فقد اعتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بعد الهجرة أربعَ عُمَرٍ كُلَّهُنَّ في ذِي القَعْدَةِ ١٠٧٢.

في تَكَرُّر العُمرة إلى بيت الله توجيةً للمترّي الصغير إلى تعظيم بيت الله، وتعظيم شعائر الدين، وتعزيزاً للارتباط الوجدانيّ بالله، والسعي إلى نيل رضاه. كما أنّ طريقة أداء أعمال العُمرة من الإحرام وحتى الانتهاء تعزيزاً لفكرة عدم التعلّق بالدُنْيَا ومَلَدَاتِهَا، والتجرد لله. وعلى المترّي الاجتهاد في طَرَح مثل هذه المفاهيم الإيمانية العميقة، ويؤسس لها في ذهن المترّي الصغير.

• التطوّع في الإنفاق والصدقات:

وأما في عبادة الإنفاق فلقد عُرف النَّبِيُّ ﷺ بالجوّد والكرم، حيث جاء في الحديث الصّحيح أنّ ابنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهُمَا، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْحَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ، ... فَإِذَا لَقِيَهُ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ أَجْوَدَ بِالْحَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُوسِمَةِ" ١٠٧٣. ومما ورد عن

١٠٧١ البخاري. ٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية. ج ٥: ١٢٢. رقم الحديث ٤١٤٨.
١٠٧٢ ابن قيم الجوزية، مُحمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. ٤١٥هـ. زاد المعاد في هدي خير العباد. الطبعة السابعة والعشرون. الكويت: مكتبة المنار الإسلامية. ج. ٢. ص. ٨٦.
١٠٧٣ البخاري. ٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الصوم، باب: أَجْوَدُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكُونُ في رَمَضَانَ. ج ٣: ٢٦. رقم الحديث ١٩٠٢.

جوده ﷺ، وكرمه، وطيب نفسه حديث سهل بن سعدٍ حيث قال: "جاءت امرأةٌ إلى النبي ﷺ ببردةٍ، فقال سهلٌ للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي الشملة، فقال سهل: هي شملةٌ منسوجةٌ فيها حاشيتها، فقالت: يا رسول الله، أкусوك هذه، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها فلبسها، فرآها عليه رجلٌ من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه، فأكسنيها، فقال: «نعم» فلما قام النبي ﷺ لأمه أصحابه، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئاً فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ، لعلي أکفُ فيها" ١٠٧٤.

وترى الباحثة أن خلق التطوع بزز في هذه الحادثة في أكثر من صورة:

- فالمرأة التي أتت بالشملة قد تطوعت بإهدائها للنبي ﷺ، فالإهداء صورةٌ من صور التطوع المحببة إلى النفوس، وربما رأت حاجة النبي ﷺ لها، فأهدتها له دوغما سؤالٍ منه ﷺ، وهذا يبرز جمال عنصر المبادرة بتطوع الخير عند المسلم، كما قال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٦١) ١٠٧٥، فالمسارعة في الخيرات تقتضي المبادرة، والمبادرة صورةٌ من صور التطوع. وكفاية المبادرة من الكفايات التي يسعى المرثون إلى توجيهاها للمتبرين الصغار لأنها تُعبّر عن تفاعلهم الإيجابي مع المجتمع والبيئة المحيطة.

- كما أن النبي ﷺ استجاب طواعيةً، وبدون ترددٍ للرجل الذي سأله الشملة، فأعطاهها له متبرعاً بها، وكان بإمكانه أن يحتفظ بها لحاجته إليها، لكنه آثر الصحابي على نفسه، فكان فعله ﷺ تطبيقاً عملياً مباشراً لمعنى الإيثار الذي يمثل منزلةً رفيعةً في التطوع بالخير لنفع الآخرين، فالإيثار

١٠٧٤ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأدب. بابُ حُسن الخلقِ والسَّخاءِ، وما يُكره من البخل. ج ٨: ١٤٠. رقم الحديث

٦٠٣٦.

١٠٧٥ القرآن. المؤمنون ٢٣: ٦١.

صورة من صُور التَّطَوُّع الرَّاقِيَّة، انسجاماً مع قول الله تعالى: ﴿.. وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ

بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقِّ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٧٦﴾. كيف لا يفعل وهو ﷺ

صاحب النَّفْسِ الكَرِيمَةِ التي جُبِلَتْ على كَرِيمِ الصِّفَاتِ، ومُحَامِدِ الأَخْلَاقِ، وقد عُرِفَ بذلك بين

أَصْحَابِهِ رضوان الله عليهم حين أقرُّوا بقولهم في الحديث: "أنه لا يُسأل عن شيءٍ فيمنعه"،

فكانت شهادَةً منهم على طيب سيرته بينهم.

وتعكس هذه الحادثة عدداً من الكفايات التي يحسُن بالمربي التنبه لها وتوجيهها للمتربين الصغار،

منها كفاية المبادرة، وكفاية إدارة الموقف بطريقة إيجابية حيث لم ينزعج النَّبِيُّ ﷺ من مفاجأة السائل له حين

طلب الشملة ولم يردّ طلبه، بل أعطاها له عن طيب خاطر، فيتعلم المتربّي الصّغير كيفية إدارة الموقف

المفاجئة بطريقة ذكيّة، كما يتعلّم حُبّ العطاء وحُلق الإيثار.

ثانياً: التَّطَوُّعُ في تَوْطِيدِ العِلاَقَاتِ وحُسْنِ المعامِلاتِ

إنّ من أقوى وأمتن الدّعائم في بناء الأمة المسلمة مبدأ الأُخُوَّةِ الإيمانيّة التي تقوم على المحبّة في الله،

حيث تتفوّق رابطة الإيمان على رابطة النّسب، فتكون وشيجة الأُخُوَّةِ الإيمانيّة هي الرّابطة الأقوى بين

المسلمين، فتذوب بها فوارق العِرْقِ والنّسبِ والعصبيّة، ويتحقّق بها الولاء والبراء، فيكون المسلمون حُمةً

واحدةً في السّرّاء والضّرّاء، ولذلك كانت أولى حُطوات النَّبِيِّ ﷺ بعد الهجرة الشّريفة إلى المدينة المنوّرة

ترسيخ هذا المبدأ في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، فدعاهم إليه، وشاركه معهم بممارسة عملية مباشرة امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..﴾^{١٠٧٧}، ومن صور توطيد العلاقات:

• المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

فبرزت من خلال هذه المؤاخاة أروع صور التنافس في الخير، وتقديم الكفالة المادية والمعنوية بحُبٍّ للغير، وكان هذا موقف الأنصار الذين لم يألو جهداً في تقديم ما يستطيعونه من عونٍ لإخوانهم المهاجرين. وقد أثنى على موقفهم ربُّ العزة جلَّ وعلا، حيث قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^{١٠٧٨}. كما ظهر التعفُّف والتلطُّف من النفوس المؤمنة الأبية التي لا تركز إلى التواكل فتستغل مثل تلك الفرص المريحة في التكبُّب، وتستكين، بل تسعى لأن تكون صاحبة يدٍ عليا في العطاء، وتحمُّ للعمل بكِدٍّ وعناءٍ، فالعمل الشريف، والتكسُّب النظيف عبادةٌ يؤجر عليها المسلم، وقد كان هذا موقف المهاجرين، إذ جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «قالت الأنصار للنبي ﷺ: افسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: «لا»، فقالوا: تكفونا المؤونة، ونشرككم في التمرة، قالوا: سنعنا وأطعنا»^{١٠٧٩}، فطلب الأنصار من النبي ﷺ أن يفسم النخل بينهم وبين إخوانهم المهاجرين، فيه مبادرة تطوع منهم بمد يد العطاء بسخاءٍ لإخوانهم المهاجرين مواساةً لهم عما أصابهم بسبب إسلامهم في مشهدٍ رائعٍ من التجرد من الأنانية، والتعصُّب للذات أو للقبيلة، فلم يجبهم النبي ﷺ

^{١٠٧٧} القرآن. الحجرات ٤٩: ١٠.

^{١٠٧٨} القرآن. الحشر ٥٩: ٩.

^{١٠٧٩} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب المزارعة. باب إذا قال: أكفني مؤونة النخل وغيره، ونشركني في التمر. ج ٣: ١٠٤. رقم الحديث ٢٣٢٥.

إلى ذلك، بل استحسن ما هو أفضل وأكمل لهم ولاخوانهم المهاجرين، حيث وافقهم على تبادل المنفعة فيما بينهم، فيقوم المهاجرون بالعمل في سقي النخيل وإصلاحها، ويشاركهم الأنصار في ثمرها، وبهذا يترسخ في مفهوم الجميع شرف العمل، وأهميته في المحافظة على عزة المسلم، وترفعه عن أن يكون عالة يتكفف الناس.

وفي المقابل شهد المهاجرون لإخوانهم الأنصار بهذا الفضل والإيثار والكرم حيث جاء عن أنس رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ الْمُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبَدَلَ مِنْ كَثِيرٍ، وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤَنَّةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمُهْنِ حَتَّى لَقَدْ خَفْنَا أَنْ يَدْهُبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ»^{١٠٨٠}. أخوة حقة، ومحبة صادقة ربطت القلوب ببعضها، بُنيت على أساس من الإيمان الخالص بالله، والرغبة في تحصيل ثوابه ورضاه. تلك كانت إحدى ثمار العمل التطوعي اليانعة الذي قام به النبي ﷺ حين دعا إلى المواخاة بين المهاجرين والأنصار، حيث ساهمت تلك المواخاة في تأسيس نسيج اجتماعي متكاتف، فكان قاعدة قوية، وأساساً متيناً لقيام الدولة الإسلامية، وتصددها بكل قوة، وعنفوان، واقتدار، للأخطار الداخلية متمثلة بالمنافقين الذين كُبتوا غيظاً لما رأوا من قوة تماسك الصف المسلم، وللأخطار الخارجية متمثلة بالمشركين، وأعداء الدعوة والدولة الإسلامية.

إن في توجيه ذهن الصغير إلى صورة تلك المواخاة الرائعة الفريدة تُعزز لديه كفاية أهمية التواصل مع الغير على أساس متين مبني على الأخوة الإيمانية، وتولد في نفسه مهارة البذل والعطاء لدرجة الإيثار، مما يُفوّي لديه الحرص على الانتماء إلى المجتمع والشعور بالولاء.

^{١٠٨٠} الترمذي. ١٣٩٥هـ. سنن الترمذي. ج. ٤. ص. ٦٥٣. رقم الحديث ٢٤٨٧. وهو حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

• المشاركة في بناء المسجد النبوي وحفر الخندق

ومن مواقف النبي ﷺ التطوعية الدالة على تواضعه مع أصحابه، وحبّه لهم، ورغبته في نيل الأجر معهم من الرحمن الرحيم مع أنه سيّد الخلق، وحبیب الحق: قيامه بالمشاركة في بناء المسجد النبوي، إذ لم يمنعه غلوّ مقامه ﷺ، وثناء الله عليه، وغُفران ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، من أن يضرب أروع الأمثلة في محبته لله، وفي تفعيل الشكر له قولاً وعملاً، والتعاون مع صحابته بكلّ تواضعٍ في تشييد بيتٍ من بيوت الله، فعمل بيديه الشريفتين في نقل الحجارة واللّين مع المهاجرين والأنصار، وشاركهم بحماسٍ، وكان يرتجز قائلاً: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة، وهم يرتجزون معه فيزيدهم ذلك نشاطاً^{١٠٨١}، حتّى أن أحدهم ليقول: لئن فعدنا والنبيّ يعمل ... لذاك منّا العمل المضلل^{١٠٨٢}.

كذلك موقفه ﷺ يوم الخندق، إذ ورد عن البراء رضي الله عنه، قال: " رأيتُ النبيّ ﷺ يومَ الخندقِ وهو ينقلُ الترابَ حتّى وارى الترابَ شعرَ صدره، وكان رجلاً كثيرَ الشعرِ، وهو يرتجزُ برجزِ عبدِ الله: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكيناً علينا، وثبتت الأقدام إن لاقينا، إن الأعداء قد بعوا علينا، إذا أرادوا فتنةً أبينا، يرفع بها صوته^{١٠٨٣}، وهذا من باب التشجيع لهم والمؤانسة.

وقد عانى النبيّ ﷺ والمسلمون في غزوة الخندق أشدّ المعاناة من ألم الجوع والتعب، حيث قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ

^{١٠٨١} المباركفوري، صفي الرحمن. ١٤٣٠هـ. روضة الأنوار في سيرة النبيّ المختار. الطبعة السادسة. المملكة العربية السعودية-الرياض: وكالة المطبوعات والبحث العلمي - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ص. ١٥٤.
^{١٠٨٢} المباركفوري، صفي الرحمن. ١٤٢٧هـ. الرحيق المختوم. دمشق: دار العصماء. ص. ١٢٤.
^{١٠٨٣} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب الرجز في الحزب ورفع الصوت في حفر الخندق. ج ٤: ٦٤، ٦٥. رقم الحديث ٣٠٣٤.

الظُّنُونَا ﴿١٠٨٤﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١٠٨٤﴾، وَبَلَغَتْ بِهِمُ الْمَعَانَاةَ أَنْ رَٰبَطَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَبْرَ عَلَى بَطْنِهِ الشَّرِيفِ مِنَ الْجُوعِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَوَانَ فِي التَّطَوُّعِ لِحَلِّ الْمَشْكَلَةِ الَّتِي وَاجَهْتَهُمْ أَثْنَاءَ الْحُمْرِ، وَمَا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ، لَمْ يَسْتَأْثِرْ بِهِ لِنَفْسِهِ، بَلْ تَطَوَّعَ بِدَعْوَةِ صَحَابَتِهِ مَعَهُ لِيُشَارِكُوهُ بِبَرَكَاتِ الطَّعَامِ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّا يَوْمَ الْخُنْدَقِ نَحْمُرُ، فَعَرَضَتْ كُدَيْةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدَيْةٌ عَرَضَتْ فِي الْخُنْدَقِ، فَقَالَ: أَنَا نَازِلٌ. ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوْاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضْرَبَ، فَعَادَ كَثِيرًا أَهْيَلًا، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْزِدْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرًا، فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَعَاقٌ، فَذَبَحْتُ الْعَعَاقَ، وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَائِي قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طَعِيمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: كَمْ هُوَ. فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قَالَ: قُلْ لَهَا: لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُورِ حَتَّى آتِي، فَقَالَ: فُؤُومًا. فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكَ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلْتُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: ادْخُلُوا وَلَا تَضَاعَطُوا. فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَعْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: كُلِّي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ" ١٠٨٥.

وَتُشِيرُ الدِّرَاسَةُ إِلَى أَنَّ فِي أَحْدَاثِ قِصَّةِ الْخُنْدَقِ عِبْرًا عَظِيمَةً تَتَوَفَّقُ مَعَ كِفَايَاتِ يَجْدُرُ تَقْدِيمُهَا لِلْمُتَرَبِّينِ

الصِّغَارِ لِعِظَمِ فَائِدَتِهَا، فَمِنْهَا:

١٠٨٤ القرآن. الأحزاب ٣٣-١٠-١١.

١٠٨٥ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ج ٥: ١٠٨. رقم الحديث ٤١٠١.

- التَّوَّاضُع: ذلك حين شارك النَّبِيُّ ﷺ في الحُفْرِ،
 - الشَّجَاعَةُ: تَصَدَّى ﷺ بشجاعةٍ لِحَلِّ مشكلة الصَّخْرَةِ التي واجهَتْهُمْ،
 - تَأْكِيدُ المَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ عَمَلِيًّا: فَحُبُّهُ الشَّدِيدُ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بَرَزَ عَمَلِيًّا حين لَمْ يَدَعِ العَمَلَ الشَّاقَّ لَهُمْ وَحَدَهُمْ، بَلِ شَارَكَهُمْ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَهْنَأْ لَهُ بَأٌ فِي أَنْ يُلَيِّ دَعْوَةَ لِطَعَامِ لَوْحَدِهِ، بَلِ ضَمَّهُمْ إِلَيْهِ، وَهَذَا دَلِيلٌ صِدْقِ المَحَبَّةِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالإِحْسَاسِ بِالْآخِرِ.
 - دِقَّةُ المِلاحَظَةِ وَالمِبادِرَةِ: وَهُوَ مَا فَعَلَهُ الصَّحَابِيُّ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين انْتَبَهَ لِحَالَةِ التَّعَبِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ مِبادِرَتِهِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الوَلِيمَةِ.
 - أَدَبُ الوَلِيمَةِ: بَرَزَ الأَدَبُ الرَّفِيعُ وَاللُّطْفُ الرَّقِيقُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الَّذِينَ شَارَكَوهُ الوَلِيمَةَ حين أَخَذَ يُقْسِمُ الطَّعَامَ بِيَدَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ وَيُدْنِيهِ لَهُمْ.
- كُلُّ تِلْكَ النِّقَاطِ كَمَا تُظْهِرُ الدِّرَاسَةُ هِيَ دُرُوسٌ فِي كِفَايَاتِ التَّوَّاضُعِ مَعَ الآخِرِينَ بِطَرِيقَةٍ فِيهَا مِنَ المِشَاعِرِ الدَّافِعَةِ، وَالمِلاحَظَةِ الدَّقِيقَةِ، وَالمِبادِرَةِ فِي الخَيْرِ، وَمِهَارَةَ حَلِّ المِشْكَلاتِ مَا يَجْعَلُ شَخْصِيَّةَ المِترَبِّ الصَّغِيرِ شَخْصِيَّةً إِجْبابِيَّةً، وَمُحَبَّبَةً لِدَى الآخِرِينَ، فَيَنْعَكِسُ ذَلِكَ عَلَى وَجْدَانِهِ انْعِكَاساً إِجْبابِيًّا يُشْعِرُهُ بِثِقَةِ فِي النَفْسِ، وَبِأَنَّهُ مَحَلٌّ إِحْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ مِنَ الآخِرِينَ.

• عِيَادَةُ المَرُضِيِّ وَمواساتِهِم

وَمِنْ مَوَاقِفِهِ التَّطَوُّعِيَّةِ ﷺ الدَّالَّةِ عَلَى رَحْمَتِهِ بِأَمَّتِهِ عِيَادَتِهِ لِلْمَرُضِيِّ، وَمواساتِهِم بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَالدُّعَاءِ لَهُم بِالْعَافِيَةِ، فَقَدْ بَيَّنَّتْ ذَلِكَ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

- ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ

ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ فَقَالَ لَهُ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».... "١٠٨٦".

- وما ذَكَرْتَهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا عَادَ مَرِيضًا يَقُولُ: "أَذْهَبِ

الْبَأْسَ، رَبِّ النَّاسِ، اشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا بِشِفَاؤِكَ، شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا"١٠٨٧.

- وعبادته لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في مَرَضِهِ إِذْ يَقُولُ سَعْدٌ: " تَشَكَّيْتُ بِمَكَّةَ شَكْوًا

شَدِيدًا، فَجَاءَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي، ... ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِي، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ

وَبَطْنِي، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، وَأَتَمِّمْ لَهُ هِجْرَتَهُ» فَمَا زِلْتُ أَحْدُ بَرَدَهُ عَلَى كَبِدِي - فِيمَا

يُحَالُ إِلَيَّ - حَتَّى السَّاعَةِ"١٠٨٨.

ولم تُفْتَصِرْ عِبَادَتُهُ ﷺ عَلَى الرِّجَالِ فَقَطْ، بَلْ كَانَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِنْ رَحْمَتِهِ وَبِرْكَاتِهِ دُعَائِهِ أَيْضًا، وَمِنْ

الأمثلة:

- ما حَدَّثَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ

الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: «مَا لَكَ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزْفِرِينَ؟» قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا

بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقَالَ: «لَا تَسْبِي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ حَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكَبِيرُ حَبَثَ

الْحَدِيدِ"١٠٩٠،

١٠٨٦ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب المرضى. باب عبادة الأعراب. ج ٧: ١١٧. رقم الحديث ٥٦٥٦.

١٠٨٧ مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب السلام. باب استحباب ثقبه المريض. ج. ٤: ١٧٢٢. رقم الحديث ٢١٩١.

١٠٨٨ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب المرضى. باب وضع اليد على المريض. ج ٧: ١١٨. رقم الحديث ٥٦٥٩.

١٠٨٩ ترفيزين: برآئين مُعْجَمَتَيْنِ وَقَاءَيْنِ وَالتَّاءُ مَضْمُومَةٌ، تَتَحَرَّكِينَ حَرَكَةً شَدِيدَةً أَيْ تُرْعَدِينَ. (النووي. ١٣٩٢هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم

بن الحجاج. ج. ١٦٠. ص ١٣١).

١٠٩٠ مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب ثواب المؤمن فيما يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشُّوْكَةِ

يُشَاكُّهَا. ج. ٤: ١٩٩٣. رقم الحديث ٢٥٧٥.

- وَحَدَّثَتِ الصَّحَابِيَّةَ الْجَلِيلَةَ أُمَّ الْعَلَاءِ، وَهِيَ عَمَّةُ حَزَامِ بْنِ حَكِيمٍ، فَقَالَتْ: عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَرِيضَةٌ، فَقَالَ: "أُبَشِّرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ خَطَايَاهُ كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ حَبَبَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ" ١٠٩١.

فهذه الأحاديث الشريفة تُظهر حُسن عشرة النبي ﷺ، وراعيته لشؤون عموم أمته وخاصتهم، واهتمامه بهم، وتَفَقُّده لأحوالهم، ومبادراته الرَّحِيمَةِ الدَّالَّةَ عَلَى حِرْصِهِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي وَصْفِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٠٩٢.

• الْمُسَارَعَةُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ

ومن موافقه التَّطَوُّعِيَّةِ ﷺ الَّتِي تُبَيِّنُ مُسَارَعَتَهُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ، وَحِرْصَهُ عَلَى تَمَاسُكِ الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَدَفْعِ الْأَذَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَحِفْظِ حُقُوقِهِمْ، وَتَقْوِيَةِ الصِّلَةِ بَيْنَهُمْ، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

- مَا وَرَدَ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ افْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «أَذْهَبُوا بِنَا نُصَلِّحْ بَيْنَهُمْ» ١٠٩٣.

قال العلماء يُؤخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ "خُرُوجَ الْإِمَامِ مَعَ أَصْحَابِهِ لِلْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ عِنْدَ تَفَاقُمِ أُمُورِهِمْ وَشِدَّةِ تَنَازُعِهِمْ. وَفِيهِ أَيْضاً مَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ مِنَ التَّوَاضُّعِ وَالخُضُوعِ وَالْحِرْصِ عَلَى قَطْعِ الْخِلَافِ، وَحَسَنِ دَوَاعِي الْفُرْقَةِ عَنِ أُمَّتِهِ، كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى" ١٠٩٤.

١٠٩١ السجستاني. ٢٠٠٩. سنن أبي داود. كتاب الجنائز، بابُ عيادة النساء. ج. ١٠:٥. رقم الحديث ٣٠٩٢. وحكم الألباني بأنه صحيح.
١٠٩٢ القرآن. التوبة ١٢٨:٩
١٠٩٣ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الصلح. باب قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نصلح. ج ٣: ١٨٣. رقم الحديث ٢٦٩٣.
١٠٩٤ العيني. د. ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الصلح. باب قول الإمام لأصحابه اذهبوا بنا نصلح. ج. ١٣. ص. ٢٧٠.

- ما أوردته البخاري عن قصة الدية التي تحمّلها النبي ﷺ عن أهلها، حيث ورد في الحديث: "أَنَّ

عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةَ بِنْتُ مَسْعُودِ ابْنِ حَبِيبٍ، فَتَفَرَّقَا فِي النَّحْلِ، فَفُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ، فَجَاءَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ وَحُوَيْصَةَ وَمُحَيِّصَةَ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ صَاحِبِهِمْ، فَبَدَأَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ أَصْغَرَ الْقَوْمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كَبِيرَ الْكُفْرِ. قَالَ يَحْيَى: لَيْلِي الْكَلَامَ الْأَكْبَرَ،

فَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ صَاحِبِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنْتَسَحِفُونَ قَبِيلَكُمْ أَوْ قَالَ صَاحِبَكُمْ بِأَيْمَانِ حَمْسِينَ

مِنْكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْرٌ لَمْ نَرَهُ، قَالَ: فَتَبَرُّكُمْ يَهُودٌ فِي أَيْمَانِ حَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ

اللَّهِ، قَوْمٌ كُفَّارٌ، فَوَدَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِهِ ۝١٠٩٥.

وختلاصة القصة أَنَّ اثْنَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ ذَهَبَا إِلَى حَبِيبٍ، وَهَنَّاكَ تَفَرَّقَا، فَفُتِلَ أَحَدُهُمَا، فَجَاءَ الْآخَرُ وَمَعَهُ أَخُو

الْقَتِيلِ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ شَاكِينَ لَهُ قَتْلَ صَاحِبِهِمْ، وَمُتَّهِمِينَ يَهُودَ حَبِيبٍ بِالْقَتْلِ، وَكَانَ الَّذِي قَصَّ

الشُّكُوى أَصْغَرَ الْمُدَّعِينَ سِنًّا، فَطَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْقَاصِّ أَنْ يَدَعَ مَجَالَ الْحَدِيثِ لِمَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا -

وَفِي هَذَا تَعْلِيمٌ تَرْبَوِيٌّ لِلْأَبْنَاءِ لِيُوقِرُوا الْكَبِيرَ سِنًّا - فَطَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمُدَّعِينَ أَنْ يَأْتُوا بِخَمْسِينَ يَمِينًا عَلَى

أَنَّ الْقَاتِلَ مِنْ يَهُودٍ لِيَأْخُذُوا حَقَّهُمْ، فَاعْتَدَرُوا لَهُمْ اسْتَعْظَمُوا أَنْ يَخْلِفُوا عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَرَوْهُ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ

النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَقَابِلِ أَنْ يَخْلِفَ خَمْسُونَ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى دَفْعِ التُّهْمَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا عِلْمَ لَدَيْهِمْ بِهُويَّةِ

الْقَاتِلِ، فَلَمْ يَقْبَلْ أَهْلُ الْمَقْتُولِ بِهَذَا الْحَلِّ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَّقُونَ فِي يَمِينِ يَهُودٍ، فَمَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَضًّا لِلنِّزَاعِ إِلَّا

١٠٩٥ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب إكْرَامِ الْكَبِيرِ وَيَبْدَأُ الْأَكْبَرَ بِالْكَلَامِ وَالسُّؤَالِ. ج ٨: ٣٤. رقم الحديث

.٦١٤٢٠، ٦١٤٢٣

أن يحلّ المسألة بدفع الدية من عنده ﷺ، وقيل من بيت مال المسلمين، وذلك جبراً لخاطر أهل المقتول، لأنّ استحقاقهم لم يثبت، وإصلاحاً لذات البين^{١٠٩٦}.

- وحادثة أخرى تدلّ على تدخله ﷺ التّطوّعيّ في دفع أسباب الخلاف بين المسلمين رواها البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه: "أَنَّه كَانَ لَهُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيِّ مَالٌ، فَلَقِيَهُ فَلَزِمَهُ، حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاهُمَا، فَمَرَّ بِهِمَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا كَعْبُ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ النَّصْفَ، فَأَخَذَ نِصْفَ مَا لَهُ عَلَيْهِ وَتَرَكَ نِصْفًا."^{١٠٩٧}.

فمبادرة النبي ﷺ بالشفاعة أهدت الخلاف بين المتخاصمين، وكانت سبباً في الإصلاح بينهما. ولعلّ قبول الصّحابيّ الجليل كعب بن مالك التنازل عن نصف دينه طواعيةً استجابةً لإرشاد النبي ﷺ حينما أشار له بيده الشريفة بمثل صورة معبّرة لما أطلقت عليه الباحثة آنفاً "تطوع عطاء السلب".

ويعدّ الترفق بالمعسرين سنةً رحيمةً، ومنهجاً قويمًا يحفظ العلاقة الأخويّة الإيمانيّة بين الدائن والمدين إذا حرص كلّ طرفٍ على أداء ما عليه تجاه الآخر بإحسانٍ، فالدائن يترفق ويُنظِر، والمدين يُعجّل بالسداد دون ملاحظة أو تأخّر. وفي حديث النبي ﷺ بشريّ عظيمةً لمن عامل الناس بالرّفق والتّجاوز حين الإعسار، وهو صورةٌ من صور تطوع عطاء السلب لما فيه من العفو والتنازل عن الحقوق، فقد ورد في الحديث الصّحيح قوله ﷺ: " تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعْمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ:

^{١٠٩٦} العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب إكرام الكبير، ويبدأ الأَكْبَرُ بالكلام والسؤال. ج. ٢٢. ص.

١٨٠.

^{١٠٩٧} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأشخاص والخصومات. باب الملازمة. ج ٣: ١٢٣. رقم الحديث ٢٤٢٤.

لَا، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أَذَائِنُ النَّاسِ فَأَمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظَرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: بِجَوَّزُوا عَنْهُ "١٠٩٨".

- وَمَا يَدَلُّ عَلَى سَعْيِهِ ﷺ الْحَيْثُ فِي قِضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ مَا رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذْ قَالَ: " إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ "١٠٩٩. أَيُّ أَنَّهُ ﷺ كَانَ لَا يَتَوَانَى أَبَدًا فِي أَنْ يَسْتَجِيبَ لَطَلَبِ أَمَةٍ بَسِيطَةٍ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ احْتَاجَتْ مُسَاعَدَتَهُ، حَتَّى وَإِنْ تَطَلَّبَ ذَلِكَ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهَا حَيْثَمَا احْتَاجَتْ لِتَنْقُضِي حَاجَتَهَا "١١٠٠. وَزَادَ شَرَّاحُ الْحَدِيثِ فِي أَنَّ ذِكْرَ الْمَرْأَةِ دُونَ الرَّجُلِ، وَأَنَّهَا أَمَةٌ وَلَيْسَتْ حُرَّةً، مَبَالَعَةٌ لِلتَّذَلُّلِ عَلَى عِظَمِ تَوَاضُعِهِ ﷺ "١١٠١.

- مَوْفَقٌ آخَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يُبَيِّنُ سَعْيَهُ لِاسْتِدَامَةِ الْمُوَدَّةِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ، وَالْحِفَافِ عَلَى كَيْانِ الْأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ مِنَ التَّفَكُّكِ، مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: " أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبَّاسٍ: يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بَعْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا؟، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ رَاجَعْتِهِ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ، قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ. "١١٠٢.

١٠٩٨ مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب المساقاة. بَابُ فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ. ج. ٣: ١١٩٤. رقم الحديث ١٥٦٠.

١٠٩٩ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأدب. بَابُ الْكِبْرِ. ج. ٨: ٢٠. رقم الحديث ٦٠٧٢.

١١٠٠ العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. ج. ٢٢. ص. ١٤١.

١١٠١ المصدر نفسه.

١١٠٢ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الطلاق. بَابُ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي زَوْجِ بَرِيرَةَ. ج. ٧: ٤٨. رقم الحديث ٥٢٨٣.

وذكر العلماء أن مما يُستفاد من هذا الحديث "استشفاع الإمام والعالم والخليفة في حوائج الرعية، والساعي فيه مأجور وإن لم تنفض الحاجة" ١١٠٣ كما فعل ﷺ، حيث شفع متطوعاً لمغيث عند زوجة بريرة شفقةً عليه كي تعود إليه، لكنها حين استجلت الأمر، وعرفت أن طلب النبي ﷺ إنما هو شفاعته منه وليس أمراً، اختارت أن تستخدم حقها في رد الشفاعة، حيث رأت أن مصلحتها في الانفصال عن ذلك الزوج.

وتدليل الدراسة على أن في هذه القصة درساً عظيماً للأمة عموماً وللصغار بخاصة، حيث إن المسلم الحق لا يرد أمراً أوجب الشرع عليه في قرآن أو سنة، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ ١١٠٤، ولذلك فإن بريرة المؤمنة بعد أن استوضحت رضي الله عنها الأمر من النبي ﷺ اتخذت قرارها، وأخبرت به، ونص العلماء في مثل هذه الحال: "أن من يسأل من الأمور مما هو غير واجب عليه ففعله فله رد سائله، وترك قضاء حاجته، وإن كان الشفيع سلطاناً أو عالماً أو شريفاً، لأنه ﷺ لم ينكر على بريرة ردّها إياه فيما شفع فيه" ١١٠٥.

وتستخلص الدراسة مما مرّ من الأحاديث السابقة، ومن قصة بريرة رضي الله عنها عدداً من الدروس البليغة التي تُعدّ كفايات تربوية يُستكمل بها بناء شخصيّة الصغار، فيحرص المرثون على إكسابهم إياها منذ الصغر، وكلها تُصبّ في قيمة التطوع في الخير، فالمبادرة في عمل الخير، والسعي التطوعي في الشفاعة

١١٠٣ العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الطلاق. باب شفاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَوْجِ بَرِيرَةَ. ج. ٢٠. ص. ٢٦٩.

١١٠٤ القرآن. الأحزاب ٣٣:٣٦.

١١٠٥ العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الطلاق. باب شفاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَوْجِ بَرِيرَةَ. ج. ٢٠. ص. ٢٦٩.

للإصلاح بين المتخاصمين فضيلة من الفضائل، ومهارة من المهارات الدالة على القدرة على حلّ المشكلات بتنمية التفكير التحليلي للمشكلة، ثمّ التفكير الإبداعي لإيجاد الحلّ المناسب، وإدارة الخلاف، كما أنّ حسن التعبير باستعمال اللغة المطلوبة في التفاهم يُعدّ من الكفايات التي تُشجّع الصّغير على حوض مثل هذه المواقف باقتدار. ومن خلال هذه المهارات يتشجّع الصّغار أسوةً بالنبي المختار ﷺ للسعي في عمل الخير، والإصلاح بين الرّملاء إنّ حدثت بينهم خصومة، والتوسّط بأدبٍ ولطفٍ كما فعل النبي ﷺ وهو صاحب المقام العالي، والجناب المهاب، فما زاد عن قوله لبريرة: " لو راجعته"، ممّا يُشير إلى لطف العبارة، وصدق السعي، واحترام رغبة ومشاعر وشخصية المشفوع عنده، ولم يكن الأمر بالفرض، أو العصب، أو القوة. ولَمَّا لم تتحقّق النتيجة المرجوة من الشفاعة، لم يعضب النبي ﷺ، وكذلك ينبغي للمتطوِّع الصّغير ألا يعضب، أو يندم، أو يتحقد على من لم يستجب لشفاعته، بل يدرك أنّه قد أدّى عملاً جليلاً لن يحول عدَم بلوغ مقصده دون حصول ثوابه.

إنّ العمل على إكساب المتربّي الصّغير هذه المهارات يجعل منه إنساناً فاعلاً في الحياة بطريقة إيجابية، وتؤهّله لأن يكون محلّ تقدير واحترام في مجتمعه وبيئته. وهذه المهارة من مُتطلّبات العصر الحديث، وهي من أهمّ أهداف العملية التربويّة التي يجب على المرّبين إبلاؤها المزيد من الاهتمام والتّوجيه^{١١٠٦}.

• النبي القدوة ﷺ في التّعامل مع الأسرة

لقد كان ﷺ إماماً وقدوةً حسنةً في كلّ شيء، في دعوته للنّاس، وفي تعامله مع أهل بيته وعشيرته، كيف لا وهو الرّحمة المهداة، الملتأمل في حياته الشخصية مع أهله يجد التّواضع والرّحمة والإشفاق، فقد

^{١١٠٦} رافدة الحريري. ٢٠٢٠. "مهارات القرن الحادي والعشرين". International Journal of Pedagogical Innovation . ج. ٨ .

جاء عن الأسود بن يزيد بن قيس أنه قال: "سألت عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، تعني خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة."^{١١٧}.

وذكر العلماء أن قيام النبي ﷺ بخدمة أهله إنما هو "على سبيل التواضع، وليس لأئمة ذلك، فمن السنة أن يمتن الإنسان نفسه في بيته فيما يحتاج إليه من أمر دنياه، وما يعينه على دينه"^{١١٨}، فوصف العلماء لفعله ﷺ بأنه "على سبيل التواضع" إشارة لكون هذا الفعل عملاً تطوعياً، وليس من باب الفرض أو الواجب، وإلا فإن الواجب على أهل خدمة النبي ﷺ، والقيام بحقه إجلالاً وإكراماً، وقربة إلى الله عز وجل، ولكن النبي الكريم ﷺ أراد أن يعلم الأمة من بعده أنه لا غضاضة في أن يعاون الرجل أهل بيته في أداء بعض المهام التي يستطيعها، وتناسب معه، وأن يقوم على خدمة نفسه، وقد فسرت السيدة عائشة رضي الله عنها في روايات أخرى وردت عنها جملة من الأعمال التي كان النبي ﷺ يقوم بها في المنزل كأن "يخلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله"^{١١٩}، فدأب الصالحين والفضلاء الإحسان إلى أهلهم وإكرامهم. وبين المصطفى ﷺ خيرية من كان في خدمة أهله مطوعاً بقوله: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي..."^{١٢٠}، أي أن خدمة العيال، وذوي الرحم، والأزواج، والأقارب دلالة على حسن الخلق، والنبي ﷺ خير المسلمين مطلقاً لأنه أحسن الناس عشرة، وأعظمهم خلقاً^{١٢١}.

^{١١٧} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج. ج ١: ١٣٦. رقم الحديث ٦٧٦.

^{١١٨} ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. ٢٠٠٣. شرح صحيح البخاري لابن بطال. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. الطبعة الثانية. السعودية-الرياض: مكتبة الرشد. كتاب النفقات. باب خدمة الرجل في أهله. ج. ٧. ص. ٥٤٢.

^{١١٩} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ١٠. ص. ٤٦١.

^{١٢٠} الترمذي. ١٣٩٥هـ. سنن الترمذي. أبواب المناقب. باب في فضل أزواج النبي ﷺ. ج. ٧٠٩:٥. رقم الحديث ٣٨٩٥. وهو حديث حسن صحيح.

^{١٢١} المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. د. ت. تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. ١٠. ص. ٢٦٩.

وقد كان من حُسن عِشرته ﷺ لأهله شِدَّة وفائه لأُمَّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها حتى بعد وفاتها، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَبِمَا دَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةَ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَكَلْدٌ" ١١٢٢، وهذا الخلق منه دليل صدق المحبة، وأصالة الوفاء، وحفظ عهد المودة.

وثمَّين الدِّراسة أنه يُستفاد من ذِكر سيرة النَّبِيِّ ﷺ في بيته، وطريقة تعامله الودَّية الرَّاقية مع أهله، وحرصه على التَّطوُّع في معاونتهم وخدمتهم في شؤون المنزل، ووفائه لهم لَفَتْ عناية الصِّغار إلى أهَمِّية الأسرة، وما يترتَّب على ذلك من حرصٍ على استقرارها، وأمانها، وبثِّ السَّكينة فيها، وهذا لا يتأتَّى إلا إذا كان هناك اهتمامٌ مشتركٌ بين أفرادها، وتعاونٌ بِنَاءٍ، وتَطَوُّعٌ مثيرٌ، خاصَّةً في هذا العصر، حيث ازدادت الأعباء الماديَّة على الأسرة، ممَّا اضطرَّ كثيراً من الأمَّهات إلى العمل خارج المنزل ١١١٣، وهذا أدَّى إلى زيادةٍ في الواجبات، والالتزامات المنزليَّة المطلوبة، وتراجعٍ في كفاءة الأداء وسرعة الانجاز، ممَّا تسبَّب في تَوَثُّر العلاقات الأسريَّة، وشحن الأجوأ بما يُعكِّر صَفْوَهَا، ويستدرج أفرادها إلى ظُلْمَةِ التَّنَاوُر، وانعدام السَّكينة ١١١٤، ما لم يتعاون الأفراد طواعيةً وبمحبَّةٍ في القيام بتلك الواجبات دون تَأْفُفٍ أو ضَجَرٍ، ودون تقاعُسٍ، أو تَهَرُّبٍ من المسؤوليَّة الفرديَّة والمُشتركة.

١١١٢ البخاري. ٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب مناقب الأنصار. باب تَرْوِيجِ النَّبِيِّ ﷺ خَدِيجَةَ وَفَضْلَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. ج ٥: ٣٨، ٣٩. رقم الحديث ٣٨١٨.

١١١٣ ربا مصطفى أبو محسن. ٢٠٠٧/٢٠٠٨. اتجاهات طلبة الجامعة الأردنية نحو عمل المرأة وتنظيم الأسرة وعلاقتها بالمستوى الاقتصادي الاجتماعي والجنس. (رسالة ماجستير). كلية الدِّراسات الرَّبوية العليا- جامعة عمان العربية للدراسات. ص ١٤

١١١٤ المصدر نفسه. سهام بنت خضر الزهراني. ١٤٣٢ هـ. المعوقات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في القطاع الصحي. (رسالة ماجستير). جامعة الملك عبد العزيز. ص ١١٦.

وتعتبر الدراسة توجيه اهتمام الصغار إلى أهمية المحافظة على كيان الأسرة من خلال مساهمتهم التطوعية في التعاون لأداء المهام الأسرية، والمبادرة بتقديم المساعدة لأي فرد من أفراد العائلة برحابة صدر من الكفايات التي ينبغي على المرء التركيز عليها مستعيناً بشرح مواقف النبي ﷺ مع أهله، وسيرته العطرة فيهم.

• الإكرام بالهدية

ومن مواقفه التطوعية تقديم الهدية، والعطاء بسخاء، فهي سنة^{١١٥} عنه ﷺ، وقد عرف عنه ذلك في سيرته الزكية، حيث وردت أحاديث نبوية كثيرة توضح هذا الجانب الكريم في شخصيته، وهذا جانب منها:

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: " كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها^{١١٦}، أي أنه ﷺ يقبل الهدية إذا أُهديت إليه، ولكنه لا يرد من أهداها خالياً، بل من كرمه ﷺ أنه يُهدي له بدلها مما هو أكثر منها، أو يساوي قيمتها^{١١٧}، وهذا من تمام كمال أخلاقه العظيمة.

- وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: " وجد عمرُ حلةً استبرقٍ تُباع في السوق، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ابتع هذه الحلة، فتجمل بها للعيد وللوفود. فقال رسول الله

^{١١٥} ابن قدامة المقدسي، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. المعنى. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو. الطبعة الثالثة. المملكة العربية السعودية - الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع. ج. ٨. ص. ٢٤٠.

^{١١٦} البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب مناقب الأنصار. باب تزويج النبي ﷺ خديجةً وفضلها رضي الله عنها. ج. ٣. ١٥٧. رقم الحديث ٢٥٨٥.

^{١١٧} ابن حجر. ١٣٧٩هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج. ٥. ص. ٢١٠.

ﷺ: إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسٍ مِّنْ لَّا خَلَاقَ لَهُ، أَوْ: إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَن لَّا خَلَاقَ لَهُ فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ

أَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِجُبَّةٍ دِيْبَاجٍ، فَأَقْبَلَ بِهَا عُمَرُ حَتَّى أَتَى بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

قُلْتَ إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسٌ مِّنْ لَّا خَلَاقَ لَهُ، أَوْ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَن لَّا خَلَاقَ لَهُ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ بِهَذِهِ؟

فَقَالَ: تَبِعُهَا، أَوْ تُصِيبُ بِهَا بَعْضَ حَاجَتِكَ.^{١١١٨}، فقد أراد النبي ﷺ إكرام صاحبه بإهدائه

تلك الجبَّة، فَيَنْتَفِعَ بِهَا عَلَى نَحْوِ يُنَاسِبُ حاله.

● تأليف القلوب بالعطاء

وأما تأليف القلوب من خلال سخاء العطاء فالأحاديث في هذا الباب ثابتة، إذ أتبع النبي ﷺ

توجيه القرآن في آية مصارف الصدقات التي تجعل حظَّ منها يذهب إلى المؤلِّفة قلوبهم، حيث قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ ..﴾^{١١١٩}، ويُقصد بالصدقات هنا

الزكاة المفروضة، فهي نوعٌ من الصدقات، وجاء في كتب التفسير^{١١٢٠} "أطلق على الزكاة صدقةً لأنها تأتي

من غير المؤمن، وغير الملتزم بالشَّرع تطوُّعاً، فهي منه صدقةٌ على غيره لا زكاة، فالإنسان في غريزته يُحبُّ

العطف على غيره فيعطيه"، وإنَّ ذَكَرَ المؤلِّفة قلوبهم ليكونوا من الفئات التي خصَّصها الشَّارع بهذا العطاء

أما هو من رحمة الله عزَّ وجلَّ بالناس، إذ يُعين أصحاب النفوس المترددة في قبول الحقِّ، وهي تُعرفُ أنه

حقُّ، ولكنَّ حظَّ النفس فيها كبيرٌ، فربَّما - بزَيْفِ ظَنِّهَا - تخشى الفقرَ لما سيَتوجَّبُ عليها من أعباءٍ

وتكاليفٍ والتزاماتٍ إنَّ هي قَبِلَتِ الدُّخُولَ في هذا الدِّين الجديد، وقد تكون نفوس بعض المسلمين من

حديثي العهد بالإسلام ضَعِيفَةَ الإيمان واليقين، فتُغريهم زينة الدُّنيا وفتنتها بالتَّحُلُّلِ والتَّحُلُّلِ من تَبَعَاتِ

^{١١١٨} البخاري. ٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. بابُ التَّحُلُّلِ لِلْوُفُودِ. ج ٤: ٧٠. رقم الحديث ٣٠٥٤.

^{١١١٩} القرآن. التوبة ٦٠:٩

^{١١٢٠} الشعراوي. د. ت. تفسير الشعراوي - الخواطر. ج. ٩. ص. ٥٢٢٠-٥٢٢١.

هذا الدين^{١١٢١}، فأراد المولى عزَّ وجلَّ أن يهديهم، ويُبَيِّنَهم على الحقِّ من خلال العطيَّة، وعدَّد صاحب كتاب الأساس في التفسير أنواع المؤلِّفة قلوبهم، فذكر أهم أقسام: " فمنهم من يُعطى ليُسَلِّم، ومنهم من يُعطى لما يُرْجى من إسلام نُظرائه، ومنهم من يُعطى ليُجبي الصدقات ممَّن يليه، أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضَّرر من أطراف البلاد، أو ليكفَّ ضرره"^{١١٢٢}.

وهكذا راعى النبي ﷺ هذه المسألة فتألَّف قلوب أمثال هؤلاء بالعطيَّة، ومنهم أبو سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وهما ممَّن أسلم عام فتح مكَّة، وعُرف عنهم حينئذٍ ضَعْفٌ في الإسلام، ومنهم صفوان بن أمية الذي كان كافراً حينئذٍ، ولكنَّه كان يُظهِر ميلاً إلى الإسلام^{١١٢٣}. وفيما يأتي بعض الأحاديث الدالَّة على فعل النبي ﷺ في هذا الجانب:

- ورد عن أنس رضي الله عنه: " أن رجلاً سأل النبي ﷺ عنمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِبَاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: «أَيُّ قَوْمٍ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لِيُعْطِي عَطَاءَ مَا يَخَافُ الْفَقْرَ» فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُسَلِّمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"^{١١٢٤}، فَبَيَّنَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَنَسٌ أَنَّ عَطَاءَ النَّبِيِّ ﷺ السَّخِيَّ يَجْذِبُ الرَّجُلَ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ طَمَعًا فِي مَزِيدٍ مِنَ النَّوَالِ، ثُمَّ مَا يَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَنْشَرِحَ لِلْإِسْلَامِ صَدْرَهُ، وَيَتَمَكَّنَ الْإِيمَانَ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَصِيرُ الْإِسْلَامَ أَعْلَى عِنْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"^{١١٢٥}.

^{١١٢١} الخطيب. د.ت. التفسير القرآني للقرآن. ج. ٥. ص ٨١٢.

^{١١٢٢} حوى، سعيد. ١٤٢٤هـ. الأساس في التفسير. ج. ٤. ص. ٢٢٩٢.

^{١١٢٣} ابن عاشور. ١٩٨٤. "التحرير والتنوير". ج. ٢١٠. ص. ٢٣٦.

^{١١٢٤} مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب ما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا فَطُ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةَ عَطَائِهِ. ج. ٤. ١٨٠٦:٤. رقم الحديث ٢٣١٢.

^{١١٢٥} النووي. ١٣٩٢هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج. ١٥. ص. ٧٤.

- وورد في الصحيحين ما يُفيد حرص النبي ﷺ على إعطاء العطيّة لتأليف القلوب، والرّحمة بضعاف الإيمان ممّن يُحشى عليهم اعتقادٌ قد يُؤدّي بهم إلى الكفر إن لم يُعطوا، فيستحقوا سوء العاقبة، حيث قال ﷺ: "... إني لأُعطي الرجل، وغيره أحبّ إليّ منه، حشية أن يُكبّ في النار على وجهه" ١١٢٦، فكانت العطيّة منه ﷺ هؤلاء الرّهط رحمةً بهم، وتثبيتاً للإيمان في قلوبهم ١١٢٧.

- وعن ابن شهاب، قال: "عزّا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة، ثم خرج رسول الله ﷺ بمنّ معه من المسلمين، فافتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة ثم مائة" قال ابن شهاب: حدّثني سعيد بن المسيّب، أنّ صفوان قال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنّه لأبعض الناس إليّ، فما برح يُعطيني حتى إنّه لأحبّ الناس إليّ» ١١٢٨.

- لقد افتضت حكمة النبي ﷺ أن يجعل باب العطيّة السخية، والهدية النديّة أحد أبواب الدّعوة إلى الله، فللهديّة والعطيّة أثرٌ بالغٌ في تصفية القلوب من الضّعائن، واختراق الحجب المانعة من التّواصل، واستجلاب المودّة واستبقائها، ولا شكّ في أنّ هذا النوع من العطاء يُعدّ تطوعاً محموداً يُفضي إلى الخير.

١١٢٦ البخاري. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. كتاب الرّكاة. باب قول الله تعالى { لا يسألون الناس إلحافاً }. ج ٢: ١٢٤. رقم الحديث ١٤٧٨. مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب تألف قلبٍ ممّن يخاف على إيمانه لصغفه، والنّهي عن القطع بالإيمان من غير دليلٍ قاطع. ج. ١: ١٣٢. رقم الحديث ١٥٠.

١١٢٧ العيني. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الإستسلام أو الخوف من القتل لقوله تعالى { قالت الأعراب أمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا } فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جلّ ذكره { إنّ الدّين عند الله الإسلام ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه }. ج. ١. ص. ١٩٥.

١١٢٨ مسلم. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب ما سُئِلَ رسول الله ﷺ شيئاً ففعل لا وكثره عطائه. ج. ٤: ١٨٠٦. رقم الحديث ٢٣١٣.

وَتَشِيرُ الدِّرَاسَةُ إِلَى أَنَّهُ يُمْكِنُ اعْتِبَارُ العَطِيَّةِ أَوْ الهَدِيَّةِ^{١١٢٩} أَحَدَ وَجوهِ الدَّفْعِ بالحُسْنَى الذي جاء الأمر به في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^{١١٣٠}. وما أجمل قول ابن المنير السكندري في شرحه لمعنى الحسنات التي تُدْفَعُ بها السيِّئَةُ، حيث بيَّن أنَّ الحسنات التي تُدْفَعُ السيِّئَةُ ليست على منوالٍ واحدٍ، بل هي درجاتٌ، فقد تأتي في صورة صَفْحٍ وتغاضٍ عن السيِّئَةِ، وقد تزداد بحيث لا يُكْتَفَى بالصَّفْحِ، بل تأتي في صورة صَفْحٍ وإكرامٍ، وقد تَبْلُغُ غايةً في بَدَلِ الاستطاعة^{١١٣١}. ولا ريب في أنَّ إهداء العَطِيَّةِ هو من الإكرام، وما حدَّث لصفوان بن أمية يُؤكِّد معنى الآية الكريمة، حيث أثرت فيه العَطِيَّةُ، فنقلته من صَفِّ أشدِّ المنبغضين للنبي ﷺ إلى صحابيٍّ جليلٍ من أشدِّ المحبين له ﷺ.

وتستلهم الدِّرَاسَةُ من تلك المواقف الرَّاقِيَةِ، والمعاني البليغة كفايةً جديدةً تُهدى إلى الأبناء الصِّغار، وهي كفايةٌ اتَّخَذَ أسلوب الإهداء كأحد أساليب التَّواصلِ البتاء فيما بينهم وبين أقرانهم، ودخل أسْرِهِم، والمجتمع من حَوْلِهِم، فذلك مما يُسْهِمُ في جَمْعِ القلوب على المحبة والوئام^{١١٣٢}، وتعويد الأنفس على البَدَلِ تطبيياً للخواطر، ورغبةً في تحقُّقِ الانسجام. فللهديَّةُ أثرٌ عظيمٌ في النفوس، وهي طريقةٌ لطيفةٌ لإبداء الشُّكرِ، والتَّعبيرِ عن العِرفان. كما أنَّ الهدايا قد تتعدَّد وتتنوِّع، بحسب حاجة ودَوَقِ المهدي إليه، وقد تكون الهدية وسيلةً تعليميةً نافعةً تفوق لاكتساب معرفةٍ جديدةٍ، أو تعلُّمِ مهارةٍ مفيدةٍ حِسِّيَّةٍ أو حركيَّةٍ، أو تُوجِّهَ لِحَوْضِ تجرِبَةٍ فريدةٍ، فتمتصُّ غضباً، وتُخمدُ فتنةً. والصِّغارُ يُحبُّون الهدايا، ويفرحون بها أيما فرحٍ، لأنَّها

^{١١٢٩} العَطِيَّةُ اسمٌ شاملٌ للهبة، والصَّدَقَةُ، والهَدِيَّةُ، والعَطِيَّةُ. ابن قدامة المقدسي. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. المعنى. ج. ٨. ص. ٢٣٩.

^{١١٣٠} القرآن. فصلت ٤١: ٣٤.

^{١١٣١} الزمخشري. ١٤٠٧هـ. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج. ٣. ص. ٢٠١.

^{١١٣٢} القرطبي. ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). ج. ١٣. ص. ٢٠٠.

تُشعرهم بالاهتمام، فإذا ما أتت من بعضهم لبعضهم كانت سبباً في تماسك صفتهم، وإذا بدرت منهم لأفرادٍ في أسرهم، أو آخرين في مجتمعهم كانت دليلاً على إيجابية تفاعلهم. وفي الهدية اكتشاف المواهب، وسند للضعيف، وتسرية عن الحزين، وفرحة للمحروم، وتركيب للنفس. والهدية محفزة للعمل، وباعثة على النشاط، لأنها إن كانت مكافأة على إنجاز جعلت المهدي إليه فرحاً فخوراً بما أنجز، وهذا يعزز الثقة بالنفس، ويُقوي كفاية الدافعية لديه لبذل المزيد من العمل والاجتهاد.

٤،٥ الخلاصة

لقد حفلت سنة النبي ﷺ العطرة القولية والفعلية بالأعمال التطوعية في كل أحواله ﷺ، وفي مختلف الظروف ومجالات الحياة، فعلى مستوى العبادة الفردية كان الأبرز في الاجتهاد بالعبادات، وعلى مستوى التعامل كان الأكمل في التعاملات، والمبادر السابق للمكرمات، وفي إحسانه لكل من صاحبه، أو طرقت بابه، ولمن جاء بعده أسوة حسنة. إن سنة النبي ﷺ في الحصر على التطوع قولاً وعملاً جاءت لتؤكد أهمية هذا الخلق العظيم في تركيبة النفس إيمانياً، ووجدانياً، ومهارياً، مما ينعكس على المجتمع رحمةً وتربطاً وتماسكاً، وعلى الفرد قوةً وتكاملاً وانتماءً. ومن خلال ما تم عرضه في مباحث هذا الفصل يجد المرء في الأمثلة المطروقة، وغيرها كثير، ما يساعده في مهمة تربية وبناء شخصية المترقي الصغير بناءً أصيلاً محكماً متدرجاً. فالترقية في أصل معناها تعني تبليغ الشيء شيئاً فشيئاً إلى الحد الذي يريده المرء، وإكسابه مختلف المهارات والكفايات اللازمة كي تصطبغ شخصيته الفكرية، والنفسية، والوجدانية، والمهارية بالأصالة

١١٣٣ العدوي. ١٣١٣ هـ - ١٩٩٤ م. حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني. ج. ١. ص. ٤.

والصَّلابة، والقُوَّة التي يَتَطَلَّبها عالم اليوم ومُسْتَقْبَل الغد، مع تَسارع وتيرة الحياة، وكَثرة المتغيِّرات، وتَداعُل المعارف، والثَّقافات.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA